الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية — كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسنطينة — قسم التاريخ

التجار والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م.

مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية للمغرب الإسلامي بإفريقيا جنوب الصحراء.

إعداد الطالب : — إشراف الأستاذ الدكتور :

عبد القادر مباركية — علاوة عمارة

لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الدّرجة	الجامعة الأصلية	الصفة
01/ أ.د.إسماعيل سامعي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
02/ أ.د.علاوة عمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
03/ أ.د.محمد فرقاني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
04/ أ.د.كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	جامعة قالمة	عضوا

السنة الجامعية : 2011-2012

شكر وتقدير

الشكر لله العلي القدير، وإنه ليسعدني ويشرفني أن أتقدم بشكر وتقدير للأستاذ الدكتور : **علاوة عمارة** الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث، وقدّم لي العون والتوجيهات السديدة، ولم يبخل علي بوقته الثمين وجهده المقدّر وملاحظاته الجادّة، رغم إلتزاماته وانشغالاته الكثيرة، فكان نعم المشرف والقدوة ولإرشاداته أكبر الأثر في إنجاز هذا البحث.

ويسعدني أن أتقدم بالشكر لكل من ساعد على إنجاز هذا البحث:

مركز البحث بالخروب وعلى الخصوص : بن عمر عبد المجيد ، أبو اليقظان...

مكتبة الشيخ أبي إسحاق وعلى الخصوص يوسف وعبد الرحمان...

مركز الثقافة والتوثيق الصحراوي وعلى الخصوص المدير :*Crizistosow S kolarski*.

ومن الأصدقاء أخصّ بالشكر: محمود قاسمي ، محمد مباركية ، عبد الرزاق سليماني...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله...

إلى كل أفراد العائلة كلّ باسمه...

إلى كل الأصدقاء...

أهدي هذا العمل المتواضع...

عبد القادر مباركية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقـــدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقـــدمة :

لم يكن الإهتمام بدراسة التراث الإباضي بجديد في ساحة البحث التاريخي، فقد برز العديد من المنقّبين في المصادر الإباضية من أجل استنطاق النصوص واستخراج ما يمكن من معلومات تتصل بتاريخ هذه الجماعات في بلاد المغرب، ودورها في نشر الإسلام من جهة وتطور المذهب الإباضي من جهة أخرى، ومن الدّراسات التي إهتمت بالإباضية أذكر : دراسة صالح باجية حول إباضية الجريد التونسي[1]، ودراسات عمرو خليفة النامي[2] ودراسات مسعود مزهودي[3]، ودراسة إبراهيم بحاّز حول الدولة الرستمية[4]، ودراسة البلجيكية فرجيني بريفو حول إباضية الجنوب التونسي[5]. ومن أبرز من اهتم بالتراث الإباضي على وجه الخصوص الباحث المستعرب البولوني لوفيتسكي (Tadeusz Lewicki) فقد قدم مساهمة كبيرة لا يمكن تجاوزها لكل من يرغب في البحث عن الجانب الاقتصادي لإباضية العصر الوسيط في بلاد المغرب وعلاقاتها التجارية بإفريقيا جنوب الصحراء[6].

---

(1)/ الإباضية في الجريد التونسي في العصور الإسلامية الأولى، تونس، دار بوسلامة، 1976.

(2)/ من بين دراساته أذكر:

- *Studies in Ibadism* , Thesis-Ph.d , Cambridge University , 1971.

- « A Description of new Ibadi Manuscripts from North Africa »**,** *Journal of Semitic Studies* , 15 (1970) , p.63-87.

(3)/ منها :

- جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال، ليبيا، منشورات مؤسسة توالت الثقافية، 2005.
- الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال، غرداية، المطبعة العربية، 1996.

(4)/ الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط3، الجزائر، منشورات آلفا، 2010.

(5)/ *L'aventure ibadite dans le sud tunisien . Effervescence d'une region méconnue* , Helsinki, Academia scientiarum Fennica , 2008.

(6)/ من بين دراساته أذكر:

-*Études maghrébines et soudanaises* , Varsovie , Éditions scientifiques de Pologne , 1976-1983 , 2vol.

- «Les historiens , biographes et traditionistes ibadites wahbites de l'Afrique du nord » , *Folia orientalia* , 3 (1961) , p.1-134.=

إرتبطت بلاد المغرب بعلاقات تجارية واضحة بإفريقيا جنوب الصحراء منذ بدايات دخول الإسلام إلى المنطقة، ولعب الإباضيوّن في هذه العلاقات دور الوسيط التجاري، ونظرا لدورهم الكبير في تنشيط وتفعيل العلاقات التجارية والربط بين ضفتي الصحراء فقد ارتأيت–وبتوجيه من المشرف-العمل على المصادر الإباضية المتاحة واستقراء النصوص البيوغرافية لبناء بحث بعنوان : **"التجاّر والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3ه/9م إلى القرن 10ه/16م"**.

يعالج هذا الموضوع الجانب الاقتصادي من علاقات بلاد المغرب بالضفة الجنوبية للصحراء من خلال الإنتاج الفكري الإباضي-الوهبي، وبذلك سيكون هذا البحث نتاجا لرؤية مذهبية تؤرخ لعلمائها وتجاّرها، ويقتضي منّي هذا العمل استخراج كل ما يتّصل بالتجار المغاربة المتجهين نحو السودانين الغربي والأوسط وتتبع أخبارهم والطرق التجارية التي يسلكونها، ودورهم في نشر الإسلام والتأثير على العنصر المحلي في المناطق التي يتاجرون بها، وبذلك فإنني أهدف من خلال جمع الروايات والنصوص المتعلقة بالتجارة، والموجودة في متون المصادر الإباضية المتاحة إلى بناء حلقة من تاريخ العلاقات الاقتصادية بين المغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء ورسم شبكة الطرق التجارية الرابطة بين المنطقتين، وإبراز دور ومساهمة الإباضية في تنشيطها وتفعيلها.

- « Quelques extraits inédits relatifs aux voyages des commercants et des missionnaires ibadites nord-africains au pays du soudan occidental au moyen âge » , *Folia Orientalia* , 2 (1960) , p.1-27.

- «De quelques textes inédits en vieux berbère provenant d'une chronique ibadite anonyme » , *Revue d'études islamiques* , 3 (1934) , p.275-296.

- «La répartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du nord au moyen âge», *Rocznik Orientalistyczny* , 21 (1957) , p.301-343.

- « l'État nord-africain de Tahert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du 8e et 9e siecle » , *Cahiers d'études africaines* , vol.2 , 8 (1962) , p.513-535.

- «Traits d'hisoire du commerce transaharien , marchands et missionnaires ibadites au soudans occidental et central au cours du 8e au 12e siécles » , *Etnographia Polska* , 8 (1964) , p.291-311.

- «Les subdivisions de l'ibadiyya » , *Studia Islamica* , 9 (1958) , p.71-82.

ستكون للأحداث السياسية والأزمات التي عرفتها بلاد المغرب أثر كبير على عملية التواصل التجاري مع إفريقيا جنوب الصحراء، خصوصا صراع صنهاجة المتحالفة مع الفاطميين ضد زناتة المتحالفة مع أمويي الأندلس من جهة ومع مملكة غانة من جهة أخرى للسيطرة على الطريق الغربي، واحتكار تجارة الملح والذهب والعبيد وتوجيهها نحو الموانئ المغربية باتجاه أوربا، كما كان للحملة الهلالية أثر كبير على الطريق التجاري الشرقي، كونهم قبائل مارست الصعلكة على المحاور التجارية وضغطت على القوافل وأجبرتها على تغيير المسالك التجارية وتفضيل الصحراوية منها، ويستمر الصراع على الطريق الغربي في القرن 6هـ/12م بين صنهاجة ومصمودة، ولا يتوقف عند هذا الحد بل سيكون دائما بؤرة توتر بين القبائل التي تشغل المجالات القريبة منه نظرا لأهميته البالغة ودوره في التموين بالسلع الاستراتيجية وآثاره على اقتصاد دول المغرب في تلك المرحلة.

من خلال العنوان يتضح أن الإطار الزماني للموضوع يبدأ من القرن 3هـ/9م الذي يوافق أول تأليف إباضي لصاحبه ابن سلاّم اللواتي (ت بعد 273هـ/886م) إلى القرن 10هـ/16م، حيث نجد كتاب السير للشّماخي (ت سنة 928هـ/1522م) آخر تأليف إباضي في هذا القرن، وبذلك يكون العمل في هذا البحث ممتدا على مدار ثمانية قرون.

أما عن الإطار المكاني للموضوع فذلك يحتاج لتحديد مجالين هامين :

- الأوّل : مجال التّجار المغاربة، وسأترك للنصوص الوهبية كل السلطة لرسمه، وما علّي في الأخير إلا محاولة تحديد توزّع التجار على مختلف المناطق المغربية الواردة، اعتمادا على معطيات تلك النصوص لوضع شبكة اتصال تجارية على المستوى المغربي.
- الثاني : مجال إفريقيا جنوب الصحراء، ويمكن تحديده بالمنطقة الممتدة جغرافياّ بين بحيرة تشاد شرقا وما يحيط بها إلى المحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى شمالا إلى المناطق المتاخمة للغابات الإستوائية جنوبا، وهي منطقة موازية لبلاد المغرب بأجزائه "الأدنى، الأوسط، والأقصى"، وتشمل المنطقة ما يعرف اليوم بحوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط، وستتحدد المناطق التجارية فيه هي الأخرى بموجب ما تتضمنه الروايات الوهبية.

تتمثل الإشكالية الرئيسية لموضوع البحث في محاولة بناء صورة عن العلاقات التجارية المغربية السودانية من خلال ما أوردته المصادر الإباضية الوهبية، ودور هذه الأخيرة في التأريخ لها عن طريق رصد البعثات التي غالبا ما كانت ذات طابع تجاري وتدوينها ضمن تراجم النخب الوهبية ممّن كان يمارس التجارة نحو إفريقيا جنوب الصحراء، فالموضوع إذن يعالج ظاهرة اجتماعية اقتصادية-تنطلق من الشمال إلى

الجنوب–، ويتخذ من فئة التجار باعتبارها الفئة الأكثر فاعلية في المنطقة محور أساسي، ثم التجارة كونها وسيلة الوصول إلى المنطقة وعامل مكّن هؤلاء من دخول هذه المجالات والمشاركة في الحياة الاقتصادية فيها وانعاش الاقتصاد المحلي المغربي بسلع الجنوب وبضائعه، ويتطلب الموضوع كذلك رسم الطرق التجارية التي اتبعها التجار نحو السودانيين الغربي والأوسط ورصد السلع والبضائع المتبادلة بين الطرفين لبناء صورة واضحة عن المسالك التجارية وطبيعة المبادلات مع عالم ما وراء الصحراء.

من بين الإشكاليات الجزئية التي أريد معالجتها في هذا الموضوع ما يلي :

أولا :

بإعتبار أن البحث مقيدّ بما جاء في كتب التراث الإباضي فإنه من الضروري طرح إشكالية القيمة العلمية للنصوص الإباضية، ومدى دقتها في التأريخ للعلاقات التجارية بعيدا عن النزعة المذهبية وتأثيراتها، خاصة أن الكتابة التاريخية الإباضية كانت بعد سقوط الدولة الرستمية في نهاية القرن 3هـ/9م كتابة تمجيدية ذات مسحة صوفية متأثرة بالسياق العام للكتابة المناقبية لا تتحرّ عن توظيف الأسطورة والخرافة، وأغلب نصوصها لم تدّون في حينها بل انتقلت عن طريق الرواية الشفوية لفترات زمنية طويلة، والمتوفّر منها قد لا يوافق النصوص الأصلية، ومنها ما نسب لغير مؤلفيها، كما أن غياب الإطار الزماني عن بعضها فرض علّي مقاربات قد لا تكون سليمة، ولذلك سيكون التركيز على سياق النص وما تضمنه من إشارات الوسيلة المتاحة لتزمينه، إذن هذا العمل يقتضي منّي تحقيق النصوص وضبط الأماكن الجغرافية ومعالجة إشكالية الإتصال بين ضفتي الصحراء.

ثانيا:

يمثّل التجار المغاربة العنصر الفاعل الذي غامر باختراق الصّحاري الحارة وصولا لبلاد السودان، ومحور عملية الإتصال بين المنطقتين، لذلك لابد من تتبع تراجم هذه الفئة لتحديد الإطار الزماني لرحلاتهم التجارية، ومختلف أوضاعهم الإجتماعية والعلمية، فالعمل في التجارة الصحراوية يتطلب معرفة الطرق والمسالك ووفرة الإمكانيات، لذلك ليس من البساطة مباشرة مثل هذه النشاطات، فغالبا ما ينتمي هؤلاء التجار إلى فئة أعيان الوهبية ومن أهل الدعوة، كون باقي الجماعات الإباضية الأخرى لم تترك آثارا مكتوبة تمكّننا من تتبع نشاطاتها وعلاقاتها المختلفة.

ثالثا:

مثلّت التجارة دافع الإتصال بين شعوب المغرب وبلاد السودان، وطالما كانت معرفة الطرق التجارية ووفرة الوسائل والأموال من أسباب الإهتمام بالتجارة العابرة للصحراء، لذلك لابد من توضيح شبكة الطرق التجارية، وكذلك السلع التي يحملها التجار المغاربة وما يجلبونه من بلاد السودان للوصول إلى طبيعة

احتياجات كل من الطرفين المغربي والسوداني واسهام كل منهما في إنجاح هذه العلاقات ومحاولة وضع إحصائيات تقريبية للسلع والمناطق الموجهة إليها.

هذا البحث خلاصة لقراءة متأنية في المصادر الوهبية ولعملية جمع النصوص المتعلقة بالتجارة المتضمنة في تراجم العلماء والمرموقين من أعيان الوهبية، وانطلاقا من هذه الخطوة سيكون العمل في أساسه تحليلي لما ورد في هذه النصوص، ويتم ذلك بتحديد وترجمة ما تتضمنه الروايات من شخصيات وأسماء مواقع لضبط إطارها الزماني والمكاني واستكمال الجوانب الغائبة في النص وتحديد الطريق التجاري بالربط بين مكان الإنطلاق ومكان الوصول، واستخراج السلع التجارية والعملة وما يستخدم في الرحلة من وسائل نقل، كل هذه المراحل من أجل بناء هيكل البحث والإجابة على الإشكاليّات المطروحة آنفا، وعليه سيكون هيكل البحث على النحو التالي :

- 1/ نظرة أولية عن المصادر الوهبية المستخدمة في البحث وحجم النصوص الموظفة لتغطية الجانب التجاري بين ضفتي الصحراء مدعّمة بجدوال إحصائية وتمثيلات بيانية.
- 2/ توظيف النصوص والتعليق عليها.
- 3/ تحليل معطيات النصوص واستثمارها في جداول إحصائية وتمثيلها بيانيا لتعميق قراءتها وضمان الوصول إلى نتائج صحيحة.

أما عن الصعوبات، في الحقيقة ما يعترض طريق الباحث من عقبات هي جزء من البحث، وعوائق لابد من اجتيازها وإلا لماذا يسمى البحث بحثا لولا أنه جهد متواصل لحل إشكاليات اعتمادا على فرضيات مسبقة تحتاج إلى تعميق وتأكيد، غير أنّني أفضّل أن أذكر في هذا المقام بعض الصعوبات التي اعترضتني على سبيل تحفيز الدارسين والمهتمين بالدراسات الإباضية وشحذ هممهم للجدّ في هذا النوع من البحوث، فالمشكلة الأولى تتمثل في ندرة المصادر الإباضية المطبوعة وعدم توفرها في المكتبات العمومية، إذ أنّ أغلب المصادر المستخدمة في هذا العمل حصلت عليها من مكتبات خاصة بغرداية عن طريق التصوير فلّمي لعدم وجود نسخ كثيرة منها، والمشكلة الثانية وهي من سمات كتب البيوغرافيا عامة أن فهارس هذه الكتب لا توحي للقارئ بطبيعة المحتوى، ما فرض علّي قراءتها حرفيا من البداية إلى خاتمة الكتاب للحصول على النصوص المتعلقة بالتجارة، أما عن المشكلة الثالثة فهي تتمثل في صعوبة التعامل مع المادة الخبرية التي توفرها هذه المصادر في ظّل غياب الإطار الزماني، ولا يتأتى ذلك إلا بعد ترجمة الأعلام الواردة فيها وتحديد على الأقل تاريخ وفاتها، هذه بعض الصعوبات التي اعترضتني في هذا البحث.

أولا:

نظرة أولية حول المصادر والنصوص الإباضية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قبل الدخول في الموضوع وتوظيف النصوص والتعليق عليها لابد من مقاربات حول المصادر الوهبية المستغلّة في هذا العمل، فمعرفة كيفية توزّعها على القرون تمكّننا من قراءة واقع الإنتاج الفكري الإباضي-الوهبي في الإطار الزمني المحدّد آنفا، كما أن تحديد التوزّع الجغرافي لهؤلاء المؤلفين يسمح لنا أن نرسم شبكة فكرية إباضية تخّولنا إمكانية الدخول في مقاربات كثيرة حول سّر اهتمامهم بالتجارة وأخبارها، والأمر نفسه يسحب على عدد النصوص التي يتوفر عليها كل مصدر فذلك من شأنه أن يتيح لنا معرفة تطور المنظومة الفكرية الوهبية واهتماماتها الاقتصادية مع مرور الزمن.

01/ توزيع المصادر الإباضية الوهبية المستغلّة على القرون :

القرون	عدد المصادر	المصادر
القرن 3هـ/9م	02	ابن سلام اللواتي، بدء الإسلام.
		حنّاو وعبد القهار، أجوبة علماء.
القرن 4هـ/10م	00	غياب.
القرن 5هـ/11م	02	أبو زكرياء، السيرة.
		الفرسطائي، السير.
القرن 6هـ/12م	06	المزاتي، السّير.
		أبو عمار عبد الكافي، السير.
		الوسياني، السّير.
		مؤلف مجهول، السير.
		أبو يعقوب الوارجلاني، الدليل.
		البغطوري سير نفوسة.
القرن 7هـ/13م	01	الدرجيني، طبقات المشائخ.
القرن 8هـ/14م	00	غياب.
القرن 9هـ/15م	01	البرادي، الجواهر.
القرن 10هـ/16م	01	الشماخي، السير.
خلال ثمانية قرون	13 مصدرا	

تمثيل معطيات الجدول :

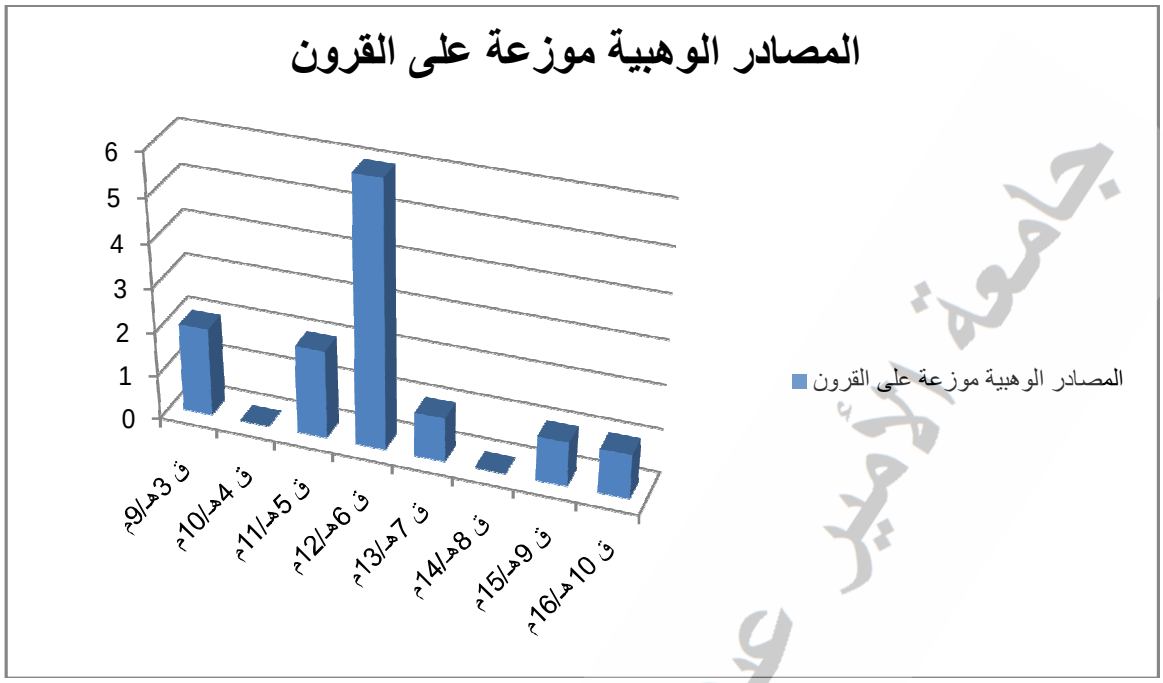

من خلال الجدول والتمثيل البياني للمصادر الوهبية موزعة على القرون الهجرية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م عن طريق أعمدة بيانية، ألاحظ وجود نوع من الاختلال في الإنتاج الفكري للجماعة الوهبية، فوتيرة التأليف ليست كما هي في جميع القرون، فالقرن 6هـ/12م يمثل قمة رقّي الإنتاج الفكري التراجمي الوهبي حيث سجلت في هذا القرن وجود ستة مصادر، ما يعادل تقريبا نصف الإنتاج الإجمالي المستخدم في هذا البحث، أما القرون الأخرى فهي إما ضعيفة الإنتاج أو ينعدم فيها الإنتاج، فالضعيفة مثل القرن 3هـ/9م والقرون 7-9-10هـ/13-15-16م وينعدم الإنتاج مثلمايتّضح في القرنين 4هـ/10م و8هـ/12م.

وكان للأوضاع السياسية التي تعيشها الجماعة الوهبية منذ القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م أثر كبير على الإنتاج الفكري عامة وعلى السّير خاصة، ففقدان إمامة الظهور بسقوط الدولة الرستمية، والتضييق السياسي الممارس على الإباضية من قبل الدولة الفاطمية أفقد الجماعة نشاطها العلمي وإنتاجها الفكري بصفة عامة خلال القرن 4هـ/10م، و كرّد فعل عن هذ الفشل السياسي وآثاره الثقافية الوخيمة التجأت نخب الوهبية إلى وضع أسس نظام العزابة لتعويض ما فقدته الجماعة على مختلف الأصعدة وبدأت نتائجها تظهر منذ النصف الثاني من القرن 5هـ/11م ،كما أن تحّول الكتابة الإباضية إلى التمجيد وتأثرها بالسياق العام للكتابة المناقبية أتى بنتائج حسنة خلال القرن 6هـ/12م الذي وجدت فيه ستة مؤلفات تتميز بالكم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الهائل للروايات التي انتقلت عن طريق المشافهة من زمن إلى آخر والمتعلقة بالتجارة وطرقها،ثم عاد الإنتاج الفكري الإباضي إلى سابق عهده على الأقل في جانبه البيوغرافي في القرون الموالية.

02/ التموّز الجغرافي للمؤلّفين الوهبيين :

الأصول الجغرافية	المؤلفين	العدد	النسب المئوية
جبل نفوسة	ابن سلاّم اللواتي (جادو).	05	%35
	الفرسطائي، (فرسطاء)		
	البغطوري (بغطورة)		
	الدرجيني (تيميجار)		
	الشّماخي (يفرن)		
وارجلان	أبو زكرياء الوارجلاني	03	%21
	أبو يعقوب الوارجلاني		
	أبو عمار عبد الكافي		
قصطالية	الوسياني	01	%7
جبل دّمر	المزاتي	02	%14
	ـّ ادي		
فزّان	عبد القهار بن خلف	01	%7
ناحية في المغرب الأوسط	جناو بن فتى المديوني	01	%7
منطقة مجهولة	مؤلف مجهول	01	%7
	المجموع	14مؤلفا	%100

التمثيل البياني للجدول :

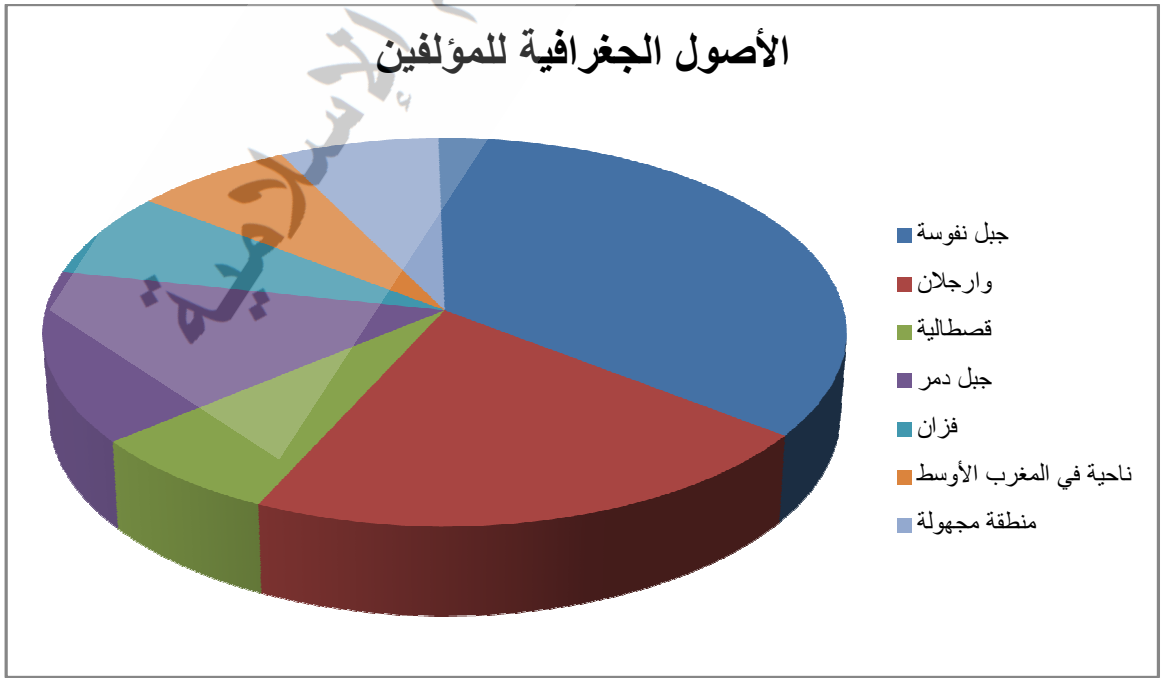

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مـن خـلال الجـدول والتمثيـل البيـاني للأصـول الجغرافيـة للمـؤلفين الـوهبيين الـذين اعتمـدت علـيهم خـلال هـذا البحـث، ألاحـظ أن أغلـب المـؤلفين عاشـوا في جبـل نفوسـة، حيـث سـجلت 05 مـؤلفين مـن أصـل 14 مؤلفـا أي أن أكثـر مـن ثلـث إجمـالي المـؤلفين ينتمـون إلى هـذه المنطقـة، وهـذا يعـبّرعـن الحركـة العلميّ ـة النشـطة بالجبـل واهتمـام العلمـاء بالتـأليف وجمـع أخبـار ومناقـب الشـيوخ، هـؤلاء المـؤلفين هـم: ابـن سـلاّم اللّـواتي، الفرسـطائي، البغطـوري، الـدّرجيني الـذي عـاش بـدّرجين في الجنـوب التونسـي ونسـب إليهـا لكنـه في الحقيقـة مـن تيميجـار بجبـل نفوسـة، وأخـيرا الشّـماخي الـذي أنـتج موسـوعة لسـير الإباضـية الوهبيـة في نهايـة الفـترة الوسـيطة أي خـلال القـرن 10هـ/16م، كمـا أن هـذه المنطقـة كانـت منطلـق القوافـل التّجاريـة نحـو بـلاد السـودان وهـذا يعلّـل حضـور نصـوص التجـارة في هذه المصادر.

بعـد جبـل نفوسـة، تـأتي وارجـلان في المرتبـة الثانيـة بـثلاث مـؤلفين أي حـوالي ربـع العـدد الإجمـالي وهـذا دليـل علـى نشـاط حركـة التـأليف بواحـة وارجـلان الـتي شـكّلت مركـزا إباضـياّ بامتيـاز لفـترة طويلـة، وكونهـا إحـدى محطـات الطريـق التجـاري نحـو تادمكـت ونحـو غانـة، فـإن مؤلّفيهـا اهتمـوا بسير شيوخهم ورحلاتهم إلى الضفة الجنوبية للصحراء.

ويتـوزع بقيـة المـؤلفين وعـددهم سـتة مـؤلفين علـى عـدة مراكـز إباضـية أخـرى مثـل قصـطالية وجبـل دّمـر وناحيـة في المغـرب الأوسـط وفـزّان ومنطقـة مجهولـة ويشـكلون مجتمعـين مـا نسـبته 42% من إجمالي المؤلفين.

03/ عدد النصوص الوهبية المتعلقة بالتجارة الصحراوية حسب المصادر :

القرون	عدد النصوص
ق 3هـ/9م	00
ق 5هـ/11م	06
ق 6هـ/12م	26
ق 7هـ/13م	10
ق 9هـ/15م	00
ق 10هـ/16م	22
المجموع	64

التمثيل البياني للجدول :

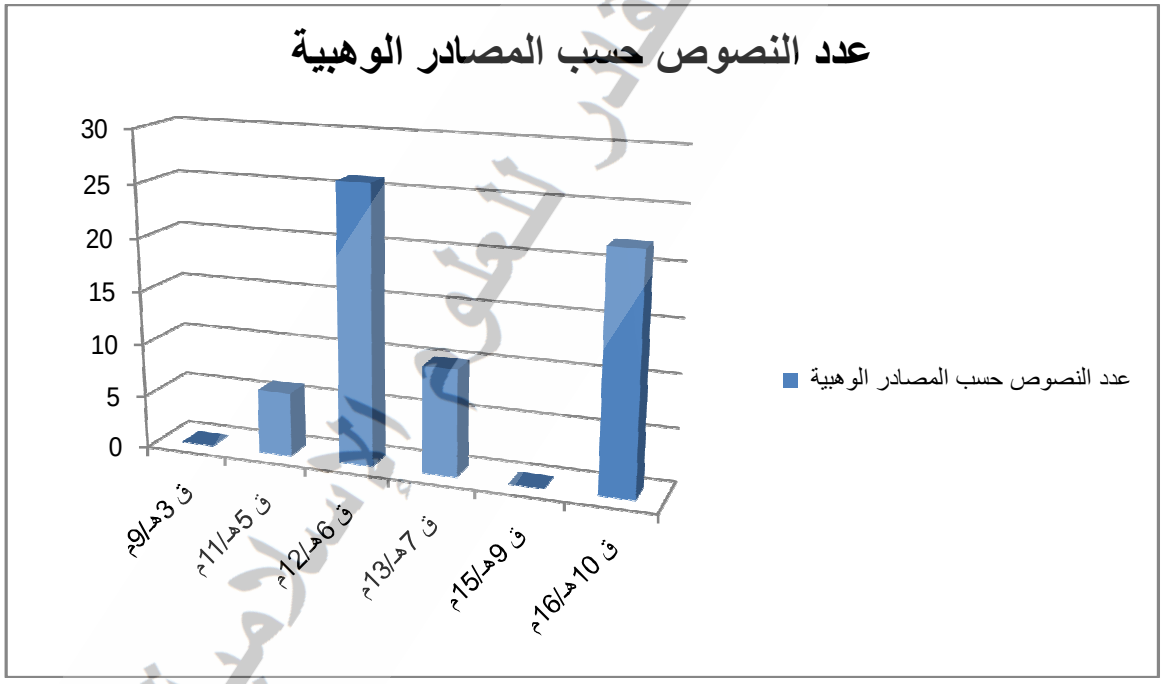

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال الجدول الإحصائي و تمثيله البياني أسجّل الملاحظات التالية :

- غياب النصوص والروايات المتعلقة بالتجارة الصحراوية في مصادر القرن 3هـ/9م، مع غياب تام للمصادر التراجمية في القرن 4هـ/10م.
- توفّر القرن 6هـ/12م على مصدرين وهما سيرة أبي زكرياء الوارجلاني و السير للفرسطائي حيث ضم كل منهما 03 نصوص متعلقة بالتجارة الصحراوية.
- توفّر مصادر القرن 6هـ/12م على نصوص كثيرة تتضمن إشارات حول التجارة الصحراوية حيث سجلت وجود 26 نصا موزعة على أربعة مصادر، أخذ فيها المؤلف المجهول قسط كبير بـ 9 نصوص، ويأتي بعده كلاً من الوسياني بـ 7 نصوص و أبو يعقوب الوارجلاني بـ 05 نصوص والبغطوري بـ 05 نصوص كذلك، ومن هذه النتائج أستطيع القول أن القرن 6هـ/12م يمثّل قمة تطور الإنتاج التراجمي الوهبي، متضمنا كمًّا هائلا من الروايات والنصوص المتعلقة بالتجارة بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء ما يثبت وجود اهتمام بالتجارة وأخبارها عكس الفترات السابقة.
- سجّلت وجود 10 نصوص في طبقات الدرجيني وهو مصدر عاش مؤلفه خلال القرن 7هـ/13م، ويعتبر عدد لا بأس به نظرا لوجودها في مصدر واحد.
- القرن 8هـ/14م، يغيب الإنتاج التراجمي الوهبي في هذا القرن.
- القرن 9هـ/15م تغيب التّجارة من المصدر التراجمي الوحيد في هذا القرن وهو كتاب الجواهر للبرّ ادي.
- القرن 10هـ/16م سجّلت فيه عددا هائلا من النصوص (22) كلها موجودة ضمن مصدر واحد وهو سيرالشماخي حيث مثّل الشماخي في هذا القرن موسوعة تراجمية للجماعة الوهبية و سجّل حافل بأخبارها.

ثانيا:

النصوص الإباضية المتعلقة بالتجارة الصحراوية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

I. القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي :

لم يكن القرن 3هـ/9م نقطة بداية البحث من الناحية الزمنية، ومنطلق جمع النصوص البيوغرافية المتعلقة بالتواصل الاقتصادي بين بلاد المغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء، إلّا لكون هذا القرن يمثل قمة رقي وازدهار دولتين قامتا ببلاد المغرب منذ حوالي منتصف القرن 2هـ/8م وهما دولة الرستميين الإباضية في تاهرت ودولة بني مدرار الصفرية في سجلماسة . دون شك كان لهاتين الدولتين دور كبير في تنشيط طرق التجارة خاصة من الناحية الغربية، وربط بلاد المغرب بإفريقيا جنوب الصحراء من جهة وببلاد الأندلس من جهة أخرى، ولذلك يستوجب علّي الوقوف على مصدرين يمثلان باكورة التأليف المغربي المحلي لأصحاب المذهب الإباضي أولهما يأخذ الصبغة التاريخية، بينما الثاني يأخذ الطابع الفقهي أو ما يعرف بالأجوبة.

01/ ابن سلاّم اللّواتي (ت بعد 273هـ/886م)، **كتابه فيه بدء الإسلام وشرائع الدين**[1].

المعلومات عن هذا المؤلف قليلة لا تكاد تتعدى ما ذكره ابن سلّام نفسه في كتابه من أخبار تتعلق به، وهي في أغلبها مقيدة بتأطير زمني محدد تبيّن أهم تحركاته والشخصيات التي التقى بها واستقى منها أهم الروايات الشفوية التي من خلالها باشر بناء هيكل كتابه . ينتمي هذا المؤلف إلى عائلة اهتمت بالتأريخ لإباضية المغرب في الفترة الإسلامية الأولى، اشترك أغلب أفراد عائلته إلى جانب أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري في معركة مغمداس سنة 142هـ/759م[2]، كما كان والده سلّام عاملا لعبد الوهاب (ت 208هـ/823م) على سرت ونواحيها[3].

يرى الشيخ سالم بن يعقوب أن ابن سلّام هو نفسه أبو بن سلّام اللّواتي الذي عاش في أواسط القرن 3هـ/9م ، أصله من أغرمينان على بعد 15كم من مدينة جادو بجبل نفوسة، ويصعب علينا بهذه المعلومات القليلة تحديد سنة ولادته بدقة، لكن يبدو أنه من مواليد نهاية

---

(1)/ تح : فيرنر شفارتز وسالم بن يعقوب، فرانز شتايز، فيسبادن، 1986.

(2)/ نفسه، ص: 118.

(3)/ الشماخي، كتاب السيّر، تح : محمد حسن، ليبيا، دار المدار الإسلامي، 2009، ج2، ص : 269. وص : 391-392.

القرن الثاني أو السنوات الأولى للقرن 3هـ/9م على أقصى تقدير[1]. توفي ابن سلام بعد سنة 273هـ/886م باعتبار أن هذا التاريخ آخر سنة يذكرها في كتابه[2].

- كتاب بدء الإسلام :

يعتبر كتاب ابن سلاّم أول مؤلَّف محلي في بلاد المغرب يحمل بصمات خطاب تاريخي، إذ يعود تأليفه إلى أواسط القرن 3هـ/9م. يتضمن هذا الكتاب أخبارا حول بداية الإسلام، والأحداث الكبرى التي عرفتها بلاد المغرب أثناء عملية نشر المذهب الإباضي، ومحاولة بناء كيان سياسي ذو صبغة إباضية.

يرى محقّقا الكتاب أن هذا النص عبارة عن مقتطفات أخذت من عدة مصنفات، غير أن الصيغ التي تبدأ بها الفقرات تدل على أن هذا الإنتاج من عمل مؤلف واحد، لكنه لم يكمل عمله بصورة نهائية، فما قام به ابن سلاّم لا يتعدى جمع النصوص من مصادر متنوعة تغلب عليها الرواية الشفوية، وتوظيفها دون تنقيحها في مسوّدة لبناء هيكل الكتاب، فوقعت بين يدي الناسخ الذي لم يبذل أي جهد سوى فيما يتعلق بإعادة نسخ النص وتنظيم عناوينه وكتابتها بألوان تختلف عن اللون المستخدم في كتابة فقرات المتن[3]، يعتبر الجزء الثالث والذي خصصه المؤلف لأخبار المذهب الإباضي الجزء الأهم في الكتاب كله، فهو دون شك من إنتاج ابن سلاّم وتأليفه لما يتوفر عليه من إشارات واضحة تتعلق بالمؤلف وعائلته (جده وأباه)[4].

لقد اعتمد ابن سلاّم على مجموعة معتبرة من رواة الأخبارالأحداث التاريخيّة في كتابه بدء الإسلام ما يجعلني أقرّ أن مصادره في أغلبها كانت ذات طابع شفوي، لكن هذا لا ينفي اعتماده على بعض المصادر المكتوبة واستخدامها في الكتاب.

ويعتبر كتاب "الدليل والبرهان" لأبي يعقوب الوارجلاني و"سير مشائخ جبل نفوسة" للبغطوري و"الفرق" لعمرو بن خليفة السوفي من أقدم المصادر التي أشارت إلى لّواب بن سلاّم واستفادت منه باعتباره أول إنتاج تاريخي محلي في بلاد المغرب يتناول البدايات الأولى للإسلام وبدايات انتشار المذهب الإباضي وما شهدته بلاد المغرب من أحداث خلال القرون الثلاثة

(1)/ ابن سلام، مصدر سابق، ص: 37-40.
(2)/ نفسه، ص: 109.
(3)/ نفسه، مقدمة التحقيق، ص :9-36.
(4)/ نفسه، ص : 14.

الأولى للهجرة حيث أصبح بعد ذلك قاعدة وركيزة للكتابة التاريخية ببلاد المغرب خلال القرون الموالية خاصة عند المؤلفين الإباضيين[1].

- ابن سلّام وعلاقات بلاد المغرب بإفريقيا جنوب الصحراء :

هذا الكتاب يعتبر باكورة التأليف التاريخي عند إباضية المغرب يتناول البدايات الأولى لعمليات نشر الإسلام في بلاد المغرب، وتبلور المذاهب وجهود الجماعات الإباضية لتحقيق طموحاتها السياسية والعقدية، فالمؤلف كما يبدو اعتمد على مصادر متنوعة للتأريخ لبدايات الحركة الإباضية في بلاد المغرب، ومن هذه المصادر الروايات الشفوية التي استقاها من العلماء والرواة الذين عاصرهم من أمثال : أبي صالح النفوسي، نفاث بن نصر النفوسي، سليمان بن وكيل الزهاني، سليمان بن زرقون، صاحب أبي حماد النفوسي، أبو محمد عبد الله بن إبراهيم[2]، بالاضافة إلى مصادر مكتوبة مثل كتاب الدّرعلى الروافض لعبد الله بن يزيد الفزاري[3]، والوثيقة التي اعتمد عليها المؤلف أثناء تطرقه للحديث عن معركة قديد سنة 130هـ/748م قرب مكة[4]، لكنه رغم تنّوع مصادره لم يجهد نفسه للبحث عن روابط وأصول علاقات بلاد المغرب بالسودانين الغربي والأوسط أو أن المصادر التي اعتمد عليها أهملت هذا الجانب المشرق من تاريخ المذهب وأخبار رجاله، فكتابه خالي من أي إشارة سواء ما تعلق بعملية الأسلمة أو ما بعد الأسلمة خاصة العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء ودور الإباضية في الربط بين المنطقتين اقتصاديا وثقافيا، رغم أن المؤلف عاش في فترة ازدهار في تاريخ علاقات الشمال بالجنوب وهي فترة الرستميين، ولكن قراءات عديدة في محتوى الكتاب تجعلني أرّجح أن الأحداث والتطورات السياسية التي عرفتها بلاد المغرب في الفترة التي عاش فيها المؤلف أثرت على تأليفه وغطّت على علاقات هذه البلاد بما وراء الصحراء لذلك تغيب المعلومات عن علاقات الشمال بالجنوب ويتعذّر الحصول على معلومات تتعلق بالتجارة بين ضفتي الصحراء إذ لا وجود لذكر ما وراء الصحراء ناهيك عن التجارة وطرقها.

---

(1)/ لمعلومات أكثر ينظر :

- Ennami , A. K. , « A Description ...» , op.cit , p.63-87.

*وكذلك : الوارجلاني، الدليل والبرهان، تح : الشيخ سالم بن حمد الحارثي، ط2، مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، 2006، ج2، ص:97-98. وكذلك : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 244-245 .وكذلك : تاديوش لوفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في شمال إفريقيا، ترجمة : ماهر جرار وريما جرار، ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2007، ص: 21،72 .

(2)/ ابن سلام، مصدر سابق، الصفحات : 109-110-115-118-120

(3)/ نفسه، ص : 72.

(4)/ نفسه، ص : 113.

وعلى العموم فهذا المصدر وإن لا يخدم البحث المطروق، فإنه من المهم الإطلاع عليه باعتباره أول إنتاج تاريخي مغربي ظهر في مرحلة مبكّرة ليدل على الوعي بالتدوين لدى المغاربة في القرون الهجرية الأولى، ولما يحويه من معلومات تتعلق ببدايات الحركة الإباضية وشيوخها الأوائل والمجالات الجغرافية المحسوبة لصالح المذهب الإباضي خاصة في بلاد المغرب، وعلاقتهم بمختلف التطورات التي طرأت على المنطقة ودورهم السياسي والعسكري في خضم الأحداث الكبرى والصراعات التي وقعت بين الأطراف السياسية في بلاد المغرب، والتي كانت دائما تأخذ الطابع العسكري.

02/جنّاو بن فتي المديوني وعبد القهار بن خلف (ق3هـ/9م)، **أجوبة علماء فزّان**[1].

يعتبر كتاب السّير للشّماخي أول مصدر بيوغرافي إباضي تضمّن إشارات حولجنّاو بن فتى وعبد القهار بن خلف، غير أن معلوماته لا تتعدى ذكر بعض الأخبار التي استخلصها من إطلاعه على هذه الأجوبة، وتوظيفها في ترجمتهما وترجمة معاصريهم.

لقد جعل الشّماخي كلا المؤلفين ضمن الطبقة الثانية من علماء المغرب أي بين 150هـ/767م و200هـ/816م، باعتبار أن كل طبقة تشغل من الزمن نصف قرن، غير أن محقق الأجوبة يرى أنهما من علماء القرن 3هـ/9م،بتقدّم تراجم العلماء المعاصرين للمؤلفين نجد أنهم عاشوا في نهاية القرن 2هـ/8م وبداية القرن 3هـ/9م من أمثال أبي يوسف وريون بن الحسن[2]. كما اعتمد الشماخي بصورة كبيرة على معطيات كتاب الأجوبة مع زيادة بعض المعلومات من تأليفه، فهو يرى أن كلّا منجنّاو بن فتى وعبد القهار بن خلف من علماء فزّان، حيث يقول في ترجمة عبد القهار : " ومن مشائخنا بفزّان عبد القهار بن خلف.."[3]، وأدرج كذلك ترجمة جنّاو بن فتى ضمن تراجم علماء فزّان[4]، وقد أشار المحقق عمروخليفة النّامي إلى ذلك ونفى أن يكونجنّاو من أهل فزّان مستدلا بنص من رسالته إلى أبي سفيان عبد القهار بن خلف حيث يقول فيها : "مع أنه تباعدت بنا وبك الدور، وتفرقت بك وبنا الأوطان، فلا يمكن

---

(1)/ تح : عمرو خليفة النامي، إكمال إبراهيم محمد طلاي، قسنطينة، دار البعث، 1991.

(2)/ كان من علماء فزّان وقادتها راسل علماءعصره في قضايا فقهية تولى الإجابة عليها كل من جنّاو بن فتى المديوني وعبد القهار بن خلف . ينظر الشماخي، مصدر سابق، ج3، ص : 1060، وكذلك : إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، غرداية، المطبعة العربية، 1999، مج4، ص : 933.

(3)/ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص : 322.

(4)/ نفسه، ج2، ص: 324.

وصـول الكتـاب أو الجـواب إلا بعـد أشـهر"[1]، ورجّـح المحقـق أن يكـونجنّـاو بـن فـتى المـديوني المنتمـي إلى جماعـة مديونـة البربريـة يسـكن بعـض نـواحي المغـرب الأوسـط وهـو تـرجيح مقبـول إلى حـد بعيـد إذا اسـتغرقت الرسـائل بينـه وبـين ابـن خلـف أشـهر عديـدة وباعتبـار أن مديونـة تتمركـز بـالمغرب الأوسط وربما يكون السهو من الشماخي فلا يوجد في الأجوبة ما يثبت أنه فزّاني[2].

- **كتاب الأجوبة :**

أصـل هـذا الكتـاب عثـر عليـه المحقـق ضـمن مجمـوع يضـم إلى جانـب أجوبـةجنّـاو بـن فـتى المـديوني وعبـد القهـار بـن خلـف، أجوبـة أخـرى تتمثـل في أجوبـة الشـيخ محمـد بـن بكّـار الفـزّاني، غـير أنـه فصـل الأولى عـن الثانيـة كونهـا (الأولى) حققـت مـن مخطوطـة أصـليّة وتتميـز بأنهـا أجوبـة في شـكل رسـائل إخوانيـة وعظيـة إضـافة إلى صـبغتها الفقهيـة، بينمـا أجوبـة الأخـير أي بكّـار بـن محمـد الفـزّاني تبـين اسـتنادا لمـا جـاء عنـد الشـّماخي أنهـا نقلـت مـن كتـاب ضـاع علـى الأرجـح حيـث يقـول : "ومـنهم بكّـار بـن محمـد الفـزّاني واطّلعـت لـه علـى مسـائل نقلـت مـن كتابـه"[3]، مـا يعـني أن الناسـخ الـذي نسـخ الأجوبـة نقـل أجوبـة محمـد بـن بكّـار مـن كتـاب هـذا الأخـير وضـّمها إلى جانـب أجوبـة جنّـاو وعبـد القهـار، وتم الاحتفـاظ بمجموعـة مسـائل هـي الـتي جـاءت ضـمن المخطوطـة في شـكل رسـائل تبادلتهـا أربـع شخصـيات هـي :جنّـاو بـن فـتى المـديوني، عبـد القهـار بـن خلـف، أبـو يوسـف وريـون بـن الحسـن، وشـخص آخـر مجهـول الهويـة مـن المـرجح أن يكـون مـن علمـاء فـزّان عـاش في القرن 3هـ/9م، وضم الكتاب بين دفتيه ست رسائل.

- **هل تناول مؤلفا الأجوبة علاقات بلاد المغرب ببلاد السودان؟ :**

يتميـز كتـاب الأجوبـة بصـبغته الفقهيـة البحتـة غـير أن ذلـك لا ينفـي وجـود معلومـات تاريخيـة مهمـة في ثنايـاه، وكـذلك كونـه عبـارة عـن رسـائل تتضـمن أسـئلة وأجوبـة كـان محـور الخطـاب فيها بالأساس إلى أبي يوسف وريون بن الحسن، فهو مدار الأجوبة ومحور المكاتبات[4].

إن المطلـع علـى هـذه الأجوبـة يلاحـظ أنهـا اشـتملت علـى ذكـر مصـطلحات لهـا علاقـة بعـالم التجـارة الصـحراوية حيـث سـجلت 08 إشـارات تتعلـق بـذكر العبيـد[5]، و04 إشـارات تتعلـق

(1)/ جناو بن فتى، مصدر سابق، ص: 50.
(2)/ نفسه ، ص : 26.
(3)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص:324.
(4)/ جناو بن فتى، المصدر السابق، ص: 34.
(5)/ نفسه، الصفحات: 57-61-62-71-76-86-100.

بالرقيق[1] وإشارتين للإماء[2]، كما ورد ذكر بعض المعادن الثمينة وهي الذهب والفضة حيث سجلت 03 إشارات[3]، وجاء ذلك بصفة عامة غالبا ما يتكرر في كتب الفقه الإسلامي دون أن يتضمن ذلك أي إشارة من شأنها أن تدل على مصدر هذه السلع ولا الطرق التجارية التي من خلالها تم جلب العبيد مثلا ولا أهميتهم كسلعة في التجارة ودورهم في المجتمع المغربي في هذه المرحلة، كما أن التعامل مع هذه الأجوبة لا يعطينا أي معلومة تتعلق بالتجارة المغربية نحو إفريقيا جنوب الصحراء، ولا شبكة الطرق المستغلة في هذا الشأن فالغرض منها كان فقهيا بحتا، ويبدو كذلك أن هؤلاء الفقهاء بعيدين كل البعد عن الطرق التجارية المعروفة، وليس لهم علاقة بالتجار حتى يستقوا منهم معلومات تجارية أو لتلّقي استفسارات تتعلق بالبيوع وأحكامها مثلا.

من الغرابة أن نتعرض لمصدرين إباضيين من ق 3هـ/9م ولا نعثر بين دفتيهما على نصوص تتحدث عن التجارة بين ضفتي الصحراء وطرقها، رغم وجود نصوص وإشارات تثبت وجود تواصل وعلاقات تجارية قديمة بين بلاد المغرب وبلاد السودان في مصادر غير إباضية.

من بين تلك الإشارات أورد فتوى أصدرها الإمام سحنون بن سعيد التنوخي (ت 240هـ/854م)[4]، والتي أوردها الونشريسي أثناء عرضه لفتاوى ابن أبي زيد القيرواني، ونص هذه الفتوى ما يلي :"...وسئل (ابن أبي زيد) عّمن يأخذ بغرم على قدر ما لكل واحد منهم فقال : سئل سحنون عن رفقة من بلد السودان، يؤخذون بمال في الطريق، لا ينفكون عنه فيتولى ذلك بعضهم ويؤخذ من الباقين فقال : لا يجد الخلاص إلا بذلك فهي ضرورة لابد لهم منها وأراه جائزا"[5].

يبدو أنّ مسألة شبيهة بالتي عرضت على ابن أبي زيد القيرواني(ت 386هـ/996م)، عرضت من قبل على الإمام سحنون، ما حمل ابن أبي زيد على الـ دّ عليها بنفس ردّ الإمام سحنون وهذه الفتوى نتيجة لانتشار ظاهرة اللصوصية وإرهاب السبيل على هوامش الطرق التجارية الرابطة بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء ما اضطّر مستعملي هذه الطرق

---

(1)/ جناو بن فتى، مصدر سابق، ص : 56-57.

(2)/ نفسه، ص : 61.

(3)/ نفسه، ص : 59

(4)/ حول حياة الإمام سحنون وعلاقة بالسلطة الأغلبية ينظر : محمد زينهم محمد عزب، الإمام سحنون، تقديم : حسين مؤنس، القاهرة، دار الفرجاني، دت.

(5)/ هذه المسألة عرضت على الإمام سحنون فرأى أن الغرم يؤخذ على عدد الأحمال حتى لا يكشف من كان حمله ثمينا فيتعرض لخسارة أكبر ينظر : الونشريسي، المعيار، تح : محمد حجي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1981، ج6، ص: 149-150.

لاستفتاء أئمة المذهب المالكي في فترة زمنية مبكرة أي قبل سنة (240هـ/854م) لإيجاد حلول لمشكلة انعدام الأمن[1].

ومن خلال المجموع الذي ألفه الأب كيوك (J.Cuoq)[2]، أمكنني التعرف على أهم المصادر العربية التي تناولت بلاد ما وراء الصحراء وعلاقاتها ببلاد المغرب، فقد أورد ابن عبد الحكم المصري (ت 257هـ/871م) معلومات عن حملة عقبة بن نافع الفهري أول قائد عربي غامر بالوصول إلى مناطق في عمق الصحراء وفتح فزّان سنة (46هـ/666م) ومنها إتجه رفقة جنوده نحو كوّوأو خاور كما ورد على لسان بعض سكان قصور فزّان وهي منطقة قريبة من كانم في السودان الأوسط وغنم العبيد السودانيين[3]، ويشير كذلك إلى حملة حفيده حبيب بن أبي عبيدة الفهري على السوس الأقصى باتجاه بلاد السودان سنة (116هـ/734م) وغنم هو الآخر الذهب والعبيد[4]، كما ينسب الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري لعبد الرحمان بن حبيب بناء بئر على بعد مرحلة من تامدالت على الطريق المؤدية إلى مدينة أودغشت[5]،بتقيّ مع هذه الإشارات نلحظ أن قادة الفتح كل مرة يتخذون الأدلّاء ويسلكون طرق معينة وهو دليل على قدم الطرق و وجود تجارة نشطة تربط بين ضفتي الصحراء.

بعد ابن عبد الحكم نعثر على إشارات ومعلومات أخرى عند اليعقوبي (ت 284هـ/897م)، حيث يعتبر أول جغرافي قدّم إشارات على الطرق التجارية خاصة الطريق الغربي من سجلماسة إلى أودغست مرورا بمجالات أنبية[6]، كما تحدث عن مدينة زويلة والطريق الرابط

---

(1)/ من المرجح أن هذه المسألة طرحها بعض التجار ممّن يمارس التجارة الصحراوية على الإمام سحنون مما يؤكد وجود علاقات تجارية بين إفريقيّة وبلاد السودان في شكل قوافل منظمة، ينظر : محمد الصمدي ، " ملامح من تاريخ العلاقات المغربية السودانية من خلال بعض النوازل الفقهية "، *أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على ضفتي الصحراء*، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1999، ص : 332-338.

(2)/ لم تهمل المصادر العربية الإخبارية والوصفية الحديث عن بلاد السودان من شتى النواحي ويعتبر الأب جوزيف كيوك أول مستشرق ألف كتاب جمع فيه أغلب المصادر العربية المتعلقة ببلاد السودان إذ له الفضل في وضع قائمة بيبليوغرافية وصلت قرابة اثنين وسبعين مصدرا متنوعة بين الكتب الوصفية والإخبارية واستخرج منها النصوص المتعلقة ببلاد السودان وترجمها ينظر:

- Joseph M Cuoq , *Receuil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale du 8e au 16e siècle* , Paris , Centre national de la recherche scientifique , 1975 , p.37.

(3)/ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح : عبد المنعم عامر، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1961، ج1، ص:263.

(4)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص :45.

(5)/ أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تح : جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية،2003، مج2،ص : 342.

(6)/ اليعقوبي، كتاب البلدان، ليدن، مطبعة بريل، 1890، ص: 151. يعتقد لوفيتسكي أن المعلومات التي يقدمها اليعقوبي هي أقدم معلومات معروفة عن التجارة الصحراوية في الفترة الإسلامية وهذا دليل على أنه لم يطلع على فتوى الإمام سحنون في المعيار للونشريسي التي سبقت الإشارة إليها . ينظر :

- Tadeusz Lewicki , « l'État nord-Africain… » , op.cit , p.513-535.

الرابط بينها وبين كّوار إلى بحيرة تشاد بالسودان الأوسط[1] فاليعقوبي إذن تحدث عن طريقين تجاريين معروفين في القرن 3هـ/9م الأول طريق سجلماسة باتجاه السودان الغربي والثاني ينطلق من زويلة باتجاه السودان الأوسط ولابد أن تاهرت تتصل بالسودان الغربي عن طريق عاصمة بني مدرار سجلماسة لذلك نجد عبد الرحمان بن رستم صاهر المدرار بن اليسع حاكم سجلماسة بأن زوجه ابنته أروة نظرا لموقع المدينة الاستراتيجي في الربط بين تاهرت والسودان الغربي.

وفي نهاية القرن 3هـ/9م يأتي تاريخ الأئمة الرستميين لابن الصغير كمصدر مهم يتضمن إشارات حول علاقات دولة الرستميين مع عالم ما وراء الصحراء ويعتبر المستعرب البولوني لوفيتسكي (T.Lewicki)أول من وظّف نصوص ابن الصغير[2] لدراسة تاريخ وعلاقات الرستميين مع السودان الغربي والأوسط[3] متأثرا بأعمال زميليه زموغورزوفيسكي (Z.Smogorzewicki)[4] و جوزيف شاخت (J.Schacht) الذي يعتبر أول دارس للتأثير المعماري الإباضي على السودان الغربي[5].

يقول ابن الصغير :

"... واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها ...فقال : ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على

---

(1)/ سكن هذه المدينة قوم إباضية يتاجرون في العبيد السودانيين من المريين والزغاويين والمرويين عن طريق السبي ومن خلال علاقتهم بملوك السودان (الأوسط) وقد لعب أهل كّودور الوسيط في هذه التجارة . ينظر : اليعقوبي، البلدان، مصدر سابق، ص: 134-135.

(2)/ يقدم لنا ابن الصغير (ت بعد 294هـ/907م) معلومات مهمة كشاهد عيان على الرقي والتقدم الحضاري الذي بلغته دولة الرستميين وما نسجته من علاقات تجارية رسمية تمت على أعلى مستويات الدولة، فالمؤرخ رغم أنه لا يدين بالمذهب الإباضي فقد خصص مؤلّفه لأخبار أصحاب المذهب ودولتهم وتاريخ أئمتهم، ومن بين الدراسات حول ابن الصغير وكتابه ما يلي :

- Motylinsky, A.de C, « Bibliographie de M'zab. Les livres de la secte abadhite » , *Bulletin de correspondance africaine* , 3 (1885) , p.15-72.

- « Chronique d'ibn Saghir sur les imames rostomides de tahert » , *Actes du 16e congrés international des orientalistes* , Alger , 3 (1905) , p.3-192.

- وداد القاضي، " ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية "، *مجلة الأصالة*، 45 (1977)، ص : 37-58.

(3)/ ينظر : بنعزوز فريدة،" قراءة في أبحاث تاديوش لوفيتسكي حول فجر العلاقات بين المغرب وبلاد السودان "، *أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على ضفتي الصحراء*، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1999، ص: 453-464.

(4)/ Zygmunt Smogorzewicki , « Essai de bio-bibliographie ibadite –wahbite » , *Rocznik orientaliyezny* , 5 (1927) , p.45-47.

(5)/ Joseph Schacht , « sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le sahara » , *Travaux de l'institut de recherche saharienne* , 11 (1954) , p.11-30.

نفسه وماله حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد الكوفيين، واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الأقطار تاجرون ..."[1].

في هذا النص يقدم لنا ابن الصغير صورة عن الحياة السياسية والاقتصادية والإجتماعية في مدينة تاهرت، فعلى الرغم من التنوع الإثني وبالتالي التنوع المذهبي[2]، فإن ذلك لم يؤثر على نشاطها الإقتصادي، فبعد أن بلغت الدولة من التمكين والقوة غايتها استعملت الطرق إلى بلاد السودان ما يعني أن هذه الطرق قديمة، وإنما أعاد حكام الدولة إحياءها وتنشيطها، أما عن بلاد السودان فلم يحددها الإخباري على وجه الدقة، وقد ناقش لوفيتسكي المقصود من بلاد السودان في هذا النص اعتمادا على معطيات كتب الجغرافيا الوصفية المتزامنة والدولة الرستمية وكذا كتب التراجم الإباضية التي تحدثت عن فترة حكم عبد الوهاب، وخلص إلى نتيجة مفادها أن البلد المقصود في رواية ابن الصغير هو كوكو أو جوجو وذلك اعتمادا على رواية وردت عند الوسياني تثبت وجود علاقات بين تاهرت وقاو وهذا ما سنناقشه أثناء معالجة نصوص مصادر القرون الموالية[3].

أما عن النص الثاني الذي ورد عند ابن الصغير فهو :

"....وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة وكان وسيما جميلا جوادا سمحا وكان قد وفد على ملك السودان بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب فعجب ملك السودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته إذا ركب الخيل وهز يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالعربية لأن لا مخرج

---

(1)/ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح : محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986، ص : 31-32.

(2)/ يعتبر ابن الصغير واحد من تلك الحالات رغم عدم وضوح مذهبه العقدي فهو على الأرجح من تلك الطوائف التي ذكرها هو بنفسه باعتباره استوطن تيهرت منذ عهد أبو اليقظان بن أفلح الذي توفي سنة 281هـ/894م ويحتمل أن يكون على المذهب الشيعي لاستدلاله بحديث غدير خم في ثنايا كتابه ينظر .: ابن الصغير، المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص: 11-13 . ويفتح جودت عبد الكريم يوسف باب الإحتمال أن يكون إما شافعيا أو حنبليا إنطلاقا من المناظرة الفقهية بين أبي الربيع سليمان وابن الصغير في مسألة تتعلق بالنكاح ومن الممكن أن يكون شافعي المذهب لعلاقته الوطيدة بأحمد بن بشير ينظر : جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص:08.

(3)/Tadeusz Lewicki , « L'État…» , op . cit , p. 513-535.

للامساك إنما هو فيما بين القاف والكاف والجيم إلا أن معناها : أنت حسن الوجه حسن الهيبة والأفعال..."[1].

مثل النص السابق لم يحدد ابن الصغير بدقة ملك السودان الذي استقبل السفير محمد بن عرفة لكن بالرجوع إلى نصوص الوسياني نجد أن أفلح الذي لم يوفق في رحلته إلى جوجو في عهد والده عبد الوهاب[2] قد أرسل بعثة دبلوماسية إلى ملك كوكو(جوجو) تحت قيادة محمد بن عرفة لتعزيز العلاقات التجارية بين الطرفين، ولضمان استمرارية نشاط الطريق التجاري الرابط بين تاهرت وڤاو نظرا لتنامي قوة مملكة غانة وتهديدها لمصالح الدولة بمحاولة السيطرة على ڤاو وبالتالي الطرق الرابطة بين تاهرت إلى ڤاو عبر سجلماسة وأودغست، وكذلك طريق تاهرت إلى ڤاو عبر وارجلان وجبال الهقار وتادمكت[3].

ومما سبق نستنتج أن المصادر الإباضية في القرن 3هـ/9م سكتت عن علاقات بلاد المغرب بما وراء الصحراء لأسباب مجهولة يمكن تفسيرها بما يلي :

01/ مصادر هذين الكتابين-وهي شفوية-كانت بعيدة عن محيط التجارة وطرقها.

02/ المصادر الإباضية في هذه المرحلة المبكّرة أدارت ظهرها لأخبار التجارة وطرقها ما يرجح أنها لم تكن أو بسبب غياب التواصل بين المراكز الإباضية وإلا كيف يفسر عدم وصول أخبار تاهرت إلى جادو و افّو رغم وجود علاقات رسمية مع بلاد السودان.

03/ البعد الجغرافي لعب دور كبير في التعتيم على أخبار الرحلات التجارية وعلاقات التّجار المغاربة بالسودانيين الأوسط والغربي، خاصة وأن المؤلفين عاشا في منطقة بعيدة عن دولة الرستميين هوولة بني مدرار اللتين تزعّمتا النشاط التجاري نحو إفريقيا جنوب الصحراء.

II. القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي :

(1)/ ابن الصغير، مصدر سابق، ص: 62.

(2)/ مجموع السّير، تح : عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2009، ج1، ص: 327-328.

(3)/ ينظر : بنعزوز فريدة، مقال سابق، ص : 453-464.

أثمرت جهود الدعوة الشيعية قيام خلافة قوية ببلاد المغرب، فكانت بذلك نهاية القرن 3هـ/9م إيذانا بسقوط ثلاث دول كان لها أثر كبير في سيرورة الأحداث التاريخية ببلاد المغرب، وهي : دولة الأغالبة، دولة الرستميين ودولة بني مدرار. وخاصة الدولتين الأخيرتين باعتبارهما يشرفان على طريقين تجاريين باتجاه السودانين الغربي والأوسط[1]، فهل كان لذلك أثر ملموس على مستقبل التجارة العابرة للصحراء؟

لم تقتصر عملية إسقاط الإمامة الرستمية على الجانب السياسي فقط، بل تعدّت ذلك إلى إعدام الإنتاج الفكري الإباضي بإقدام أبي عبد الله الدّاعي على حرق مكتبة المعصومة[2]، ربما هذا الفعل من شأنه أن يعلّل غياب الإنتاج التاريخي والتراجمي الإباضي في ق 4هـ/10م، فتفكّك الدولة بسقوط العاصمة تاهرت[3]، وفقدان الإرث الثقافي ّمه غياب الاستقرار السياسي، حال دون الإهتمام بالكتابة في شتى المجالات، ولم يكن للإباضية بعد سقوط دولتهم من هدف سوى خلق وحدة ثقافية إجتماعية تعوضهم خسارة إمامة الظهور، ولذلك يتعذّر الخوض في موضوع العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء بدقة ووضوح من خلال الإنتاج الفكري للجماعات الإباضية، فتراجع دور تيهرت الاقتصادي وفقدانها لمكانتها وعلاقاتها مع الضفّة الجنوبية سمح لحواضر أخرى النهوض كعواصم إقليمية، فقد فرّ من نجا من الإباضية خاصة أفراد السلطة الحاكمة إلى واحات وارجلان وسدراتة[4]، واتخذوها عاصمة لهم وانتشروا في واحات الصحراء ليؤسسوا بذلك شبكة اتّصال صحراوية وأصبحت وارجلان وجبل نفوسة معقلين هامين

---

(1)/ ينظر : موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص : 332-383 .وكذلك ينظر : محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، نصر، دار الفكر العربي، دت، ص : 27-29.

(2)/ حول هذه المكتبة ينظر : موسى لقبال، "من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى مكتبة المعصومة بتاهرت، هل أحرقت؟ أو نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني وارجلان"، *مجلة الأصالة*، 41 (1977)، ص : 51-59.

(3)/ حول أسباب سقوط الدولة الرستمية ينظر : إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، مرجع سابق، ص : 141-169.

(4)/ ينظر : مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، مرجع سابق، ص : 39-47. وكذلك : حول مناطق التي توزع عليها الإباضية ينظر :

- Tadeusz Lewicki , « La répartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du nord au moyen âge » , *Rocznik Orientalistyczny* , 21 (1957) , p.301-343.

- Virginie Prévost , « La renaissance des ibadites wahbites à Djerba au 10e siècle » , *Folia Orientalia* , 40 (2004) , p. 171-191.

للإباضية صمدا في وجه ضربات الدولة الفاطمية التي لم تستطع-رغم جهودها العسكرية- القضاء عليهما[1].

نظرا لغياب الإنتاج الفكري الإباضي في القرن 4هـ/10م لم يبق لنا إلا أن نستنجد ببعض معطيات الكتب الوصفية التي اهتمت بالتجارة وطرقها بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، لقد ركزت النصوص الوصفية في القرن 4هـ/10م خاصة على الطريق الغربي المعروف بطريق الذهب والذي يربط بين سجلماسة وغانة، ويقدم ابن حوقل في كتابه صورة الأرض معلومات مهمة عن السودان الغربي لأنه زار المنطقة وتجول فيها في ق 4هـ/10م وتحدث عن سجلماسة والأجناس التي استوطنت المدينة وعلاقتها بالسودان الغربي[2] ولم يفوت ابن حوقل الإشارة إلى صك مالي معتبر رآه بأودغشت قيمته 42 ألف دينار لرجل من أهل سجلماسة[3]. ونظرا لنشاط وأهمية الطريق التجاري الغربي وحيويته فقد أصبح في هذه المرحلة محل نزاع وبؤرة توتر بين الفاطميين وأمويو الأندلس كونه يمثل عصب التجارة مع ممالك السودان الغربي ولإسهامه في انعاش اقتصاد بلاد المغرب والأندلس بالذهب والعبيد، لكن ذلك لم يؤثر على رواج التجارة واستمرار العلاقات التجارية وبقاء سجلماسة كمركز حيويفعّال في الربط بين ضفتي الصحراء[4].

---

(1)/ ينظر : محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي حتى منتصف ق4هـ، ط2، الدار البيضاء، دار الثقافة، ، 1985، ص: 234.

(2)/ ابن حوقل، صورة الأرض، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، 1996، ص : 65 .

(3)/ ينظر حول الصك الذي رآه ابن حوقل في أودغشت :
- Nehimia Levitzion , « Ibn Hawqal , the cheque , and Awdaghost » , *Journal of African History* , 2 (1968) , p.223-233.

(4)/ ينظر : موسى لقبال، مرجع سابق، ص : 372.

III. القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي :

نجح الإباضية في الإبقاء على تواجدهم في بلاد المغرب كجماعة مذهبية رغم الصعاب التي اعترضت سبيلهم خاصة من قبل الفاطميّن المناوئين للفكر الإباضي، فاستقرارهم بالواحات والجبال الوعرة أعطاهم فرصة الاستمرارية رغم الثورات والانتفاضات الكبرى التي شاركوا فيها في ق 4هـ/10م- والتي استهلكت منهم الكثير- في محاولاتهم للقضاء على النظام الفاطمي المتعصّب، مثل ثورة أبي يزيد النكّاري المعروف بصاحب الحمار المتحالف مع عدة جماعات مذهبية لمحاربة الشيعة[1] والتي قضّي عليها نهائيا سنة 336هـ/947م[2]، وقد ساهم هذا الفشل العسكري الذّريع للجماعات الإباضية في تصفية معظم جماعاتها وتبديد شملها باستثناء جماعة واحدة استمر تواجدها، وهي جماعة الإباضية الوهبية[3]، التي أخذت على عاتقها مهمة إحياء الموروث الفكري والثقافي للمذهب بعد تأسيسها لمرجعية دينية إجتماعية ثقافية ممثلةً في نظام العزابة منذ بداية القرن 5هـ/11م[4] على يد العالم أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي[5]، هذا النظام الجديد لعب دور كبير في إعادة إحياء الوحدة الثقافية والإجتماعية لجماعة الوهبية، وترميم ذاكرتها الجماعية عن طريق الحلقات التي شكلت نمطا تعليميّا ناجحا أتى أكله منذ النصف الثاني من القرن 5هـ/11م بظهور أدب السّير (البيوغرافيا) كشكل من أشكال

---

(1)/ حول تحالف أبويزيد النكاري مع جماعات في خلاف مذهبي معه مثل السنة، ينظر : موسى لقبال، "الحلف بين أهل السنة والنكارية في القرن 4هـ/10م وأثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس "، *مجلة الأصالة*، 60-61 (1978)، ص : 55-64 . ينظر كذلك:إحسان عباس، "مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد"، *مجلة الأصالة*، 41 (1977)، ص : 25-42.

(2)/ ينظر حول ثورة صاحب الحمار : محمود إسماعيل، مرجع سابق، ص : 237-252.

(3)/ حول فرقة الإباضية الوهبية ينظر :

- Allaoua Amara , « la structuration des ibadites-wahbites au Maghreb 11e au 15e siècle » , *Annales islamologiques* , 42 (2008) , p.259-273.

(4)/ من بين الدراسات حول نظام العزابة ما ألّفه الإيطالي : روبيرتو روبيناتشي، العزابة، ترجمة : لميس الشجني، ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2006.

(5)/ محمد بن بكر الفرسطائي من علماء الإباضية ولد بفرسطاء في جبل نفوسة على الأرجح سنة 345هـ/956م، تعلم في عدة نواحي، من شيوخه البارزين أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور، أسس نظام العزابة في سنة 409هـ/1018م بتين يسلي، والذي ساهم في حفظ شمل الإباضية وإحياء تراثهم وذاكرتهم الجماعية، له الكثير من المؤلفات، توفي سنة 440هـ/1048م . ينظر : الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تح : إبراهيم طلاي، قسنطينة، دار البعث، 1974، ج2، ص: 377-392 . وكذلك : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج 4، ص : 772-779.

تـدوين الـذاكرة الجماعيـة بهـدف إحيـاء شمائـل شـيوخ المـذهب وأخبـارهم، حيـث نجـد في هـذه الفـترة بالضـبط ثمـرتين لنظـام العزابـة تتمـثلان في : كتـاب السـّير للمـزاتي (ت 471هـ/1078م)، وكتـاب السّيرة لأبي زكرياء الوارجلاني (ت بعد 474هـ/1081م).

01/ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت 471هـ/1078م)السيـّر[1].

أبـو الربيـع سـليمان بـن يخلـف المـزاتي مـن علمـاء الإباضـية وشـيوخها، ينتمـي إلى مزاتـة كمـا هـو واضـح مـن نسـبته، تـاريخ مـيلاده غـير معـروف بدقـة، تتلمـذ علـى يـد أبي عبـد الله محمـد بـن بكـر في تـين يسـلي ثم انتقـل إلى جربـة ودرس علـى يـد أبي محمـد ويسـلان، وبعـد إتمامـه التحصـيل عـاد إلى تمولسـت وباشـر التـدريس في حلقـة حيـث تتلمـذ عليـه الكثـير مـن التلاميـذ الـذين أصـبحوا شـيوخا فيمـا بعـد، مـنهم أبـو زكريـاء يحـي بـن أبي بكـر الـوارجلاني، مـن مؤلفاتـه كتـاب السـّير وهـو كتـاب وضعه المؤلف في طلب العلم وآداب المتعلم، توفي هذا العالم سنة 471هـ/1078م[2].

إنَّ المتأمـل في سـّير المـزاتي يـدرك جيـدا أن السـّير كفـن عنـد هـذا الشـيخ لم يوظّـف في معنـاه الـدقيق، وهـو تنـاول حيـاة الشـيوخ اللامعـين ومـآثرهم، بقـدر مـا كـان نقـلا لتجربـة التعلـيم بنظـام الحلقـة، فهـذا الكتـاب عبـارة عـن تأصـيل ووضـع لأسـس العمليـة التعليميـة المتبّعـة لـدى جماعـة الوهبيـة. لقـد بـادر المـزاتي بوضـع كتـاب مرجعـي لنظـام الحلقـة متـأثرا بنظـام شـيخه محمـد بـن بكـر الفرسـطائي ولـذلك قـال عنـه لوفيتسـكي : "نظـام الحلقـات حفظـه أبـو الربيـع في كتابـه"[3]، إذن لمـاذا سمـي الكتـاب بالسـّير رغـم أنـه يتنـاول طلـب العلـم وآداب المـتعلم؟ لأن هـذا الكتـاب في الحقيقـة مـا هـو إلا مجموعـة مـن أقـوال مشـائخ المؤلـف خاصـة أبي زكريـاء فصـيل بـن أبي مسـور تتعلـق بطلـب العلـم وشـروطه وآداب المـتعلم وفسـاد آخـر الزمـان[4]، مـن هـذا المنطلـق جـاء كتـاب المـزاتي ليصـور لنـا أهميـة طلـب العلـم وآداب ذلـك، فهـو لم يتعـد محـيط الحلقـة وآدابهـا ونـابع مـن حِكـم شـيوخها

---

(1)/ تح : حاج سعيد مسعود، ط2السيـّب، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، 1993.

(2)/ ينظر: مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص : 383. وكذلك : الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص: 425-429. وكذلك: الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 603.وكذلك : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج3، ص : 444-448 .وكذلك : لوفيتسكي، المؤرخون، مرجع سابق، ص : 65-68.

(3)/ لوفيتسكي، المرجع السابق، ص : 33.

(4)/ المزاتي، المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص : 24-30.

المشاهير الذين ساهموا في بناء هذا النظام التعليمي الإجتماعي ولذلك نجد الكتاب في منأى عن اقتصاديات الجماعة وأنشطتها التجارية.

02/ أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني (ت بعد 474هـ/1081م)**السيّرة وأخبار الأئمة**[1].

أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني من علماء الطبقة العاشرة، عاش بين 450-500هـ/1058-1107م في وارجلان كما يتضح من نسبته، يعتبر من التلاميذ الأوائل الذين استفادوا من نظام العزابة و تخّرجوا من حلقاته، من شيوخه أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المتقدم ذكره درس عليه في وادي أريغ، توفي الوارجلاني بعد سنة 474هـ/1081م آخر تاريخ ذكره في كتابه السّيرة وأخبار الأئمة[2]، تكمن أهمية هذا الكتاب وقيمته كونه يتناول تاريخ المذهب الإباضي وانتشاره ببلاد المغرب إلى سقوط الرستميين وعلاقة الإباضية الوهبية بالفرق الأخرى إلى غاية سنة 474هـ/1081م[3]، وقد أسهب في الحديث عن الرستميين حتى قال عنه عوض خليفات :" ويبدو أن المؤلف وضع كتابه أصلا لهذا الغرض (تاريخ الدولة الرستمية)..."[4] فسيرة أبي زكرياء إذن تؤرخ لمرحلة زمنية طويلة تشغل حوالي خمسة قرون، والسؤال المطروح الآن

---

(1)/ هذا الكتاب نشر وترجم لأول مرة على يد ماسكراي :

- Emile Masqueray , *Chronique d'Abou Zakaria* , Alger , Impremerie de l'association ouvrière , 1878.

وله تحقيقين : - تح : إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984. وكذلك : تح : عبدالرحمان أيوب، تونس، الدار التونسية للنشر، 1985 . وهو التحقيق الذي سأعتمد عليه في هذا العمل .

(2)/ نفسه، مقدمة التحقيق، ص : 14-15 . وكذلك : مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص : 229 وكذلك :الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 448-451. وكذلك : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 621 . كذلك : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج 4، ص : 948-950.وكذلك ينظر :

- Lewicki Tadeusz , «Quelques extraits inédits relatifes aux voyages des commerçants et des missionnaires ibadites nord Africains au pays du Soudan occidental et central au moyen âge » , *Folia Orientalia* , 2 (1960) , p.1-27.

(3)/ أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص : 21.

(4)/ عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، عمان، 1978. ص : 11.

هـل عـرّج أبـو زكريـاء علـى العلاقـات التجاريـة بـين ضـفتي الصـحراء؟ وهـل بـيّن مـدى إسـهام الإباضـية في إنعاش اقتصاد بلاد المغرب والمشاركة في عالم التجارة الصحراوية؟

الآن سـأعرض ثم أنـاقش مـا أتـى بـه أبـو زكريـاء مـن نصـوص وإشـارات حـول التجـارة بـين بـلاد المغـرب وإفريقيـا جنـوب الصـحراء ومـا يـرتبط بهـا مـن ذكـر للشخصـيات الفاعلـة في النشـاط التجاري والمواقع والطرق والسلع.

النص الأول :

"فلما وصل (1) إلى أبي تميم (2) وجده في قبة حمراء على سرير قوائمه عظم الفيل (3)"[1].

1/ يقصـد بـه أبي نـوح سـعيد بـن زنغيـل وهـو مـن علمـاء الوهبيـة بالجريـد التونسـي، تعلـم علـى يـد أبي القاسـم يزيـد بـن مخلـد وأبي خـزر يغلـى بـن زلتـاف، شـارك في معركـة باغـاي مـع أبي خـزر انتقامـا لمقتـل أبي القاسـم سـنة 358هـ/969م، وبعـد الهزيمـة اختفـى مـدة وقـبض عليـه وسـجن ثم أمّنـه المعـزّ وعفـا عنـه، وفّـر مـرة أخـرى إلى وارجـلان لمـا أراد المعـزّ الرحيـل إلى القـاهرة وبهـا أكمـل بقيـة عمـره مـن المـرجح أنه توفي أواخر القرن 4هـ/10م[2].

2/ أبـو تمـيم هـو المعـزّ لـدين الله الفـاطمي ولـد سـنة 319هـ/931م، تـولّى زمـام السـلطة في الـبلاط الفـاطمي سـنة 342هـ/953م، يعتـبر المسـؤول عـن تصـفية أبي القاسـم، تـوفي سـنة 365هـ/976م بالقاهرة ودفن فيها[3].

3/ مـن خـلال الـنص يتضّـح وجـود حالـة مـن الرفـاه والغـنى بلغتهـا الدولـة الفاطميـة، فـالمعز لمـا اسـتقبل أبي نـوح في قصـره كـان جالسـا في قبـة حمـراء علـى سـرير قوائمـه مصـنوعة مـن عظـم الفيـل (أنيـاب الفيـل؟) وهـي دون شـك مـن السـلع المجلوبـة مـن بـلاد السـودان، ولا يمكننـا اسـتنطاق الـنص بـأكثر ممـا يحملـه مـن معلومـات، لكـن يبـدو أن عظـام الفيـل سـلعة مجلوبـة عـبر الطريـق الغـربي الـذي سـيطرت عليه الدولة الفاطمية بسيطرتها على مدينة سجلماسة[4].

---

(1)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 208.

(2)/ نفسه، ج1، ص : 201-221.وكذلك : مجموع السير، مصدر سابقّ ، ج1، ص : 335 . وكذلك : الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص : 126-139. وكذلك : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 536. معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج3، ص : 364-367.

(3)/ تامر عارف، المعز لدين الله الفاطمي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1982، ص : 67.

(4)/ ينظر : موسى لقبال، مرجع سابق، ص : 367-374.

النص الثاني :

" فسألني (1) عن أبي خزر رضي الله عنه (2) فقال لي : أين صاحبك يغلى ؟ فقلت له لا أدري فقال لي : لو كان صاحبك بغانة (3) لجابته دراهمنا (4)"[1].

1/ المتكلم هنا هو أبي نوح يتحدث عن حواره مع أبي تميم.

2/ أبو خزر هو يغلى بن أيوب المعروف بابن زلتاف نسبة إلى أمه من علماء الإباضية من الحامة بالجريد التونسي، كان من العلماء البارزين إلى جانب صديقه العالم أبي القاسم يزيد بن مخلد، وبعد تصفية هذا الأخير من قبل النظام الفاطمي، نظّم انتفاضة ضد هذا النظام بعد أن بويع بإمامة الدفاع، وحشد أنصاره في باغاي بالأوراس لكن ضعف العدة سبب لهم الهزيمة سنة 358هـ/969م، وفّر يغلى إلى جبل تشاّرت غير بعيد عن مكان المعركة ومنه إلى جبل نفوسة، وبعد مدة أّمنه المعز واستدعاه سنة 359هـ/970م، وأخذه معه إلى مصر وبها توفي سنة 380هـ/990م ألّف كتاب بعنوان "الرّد على جميع المخالفين"[2].

3/ غانة مملكة شكّلت أّول تنظيم سياسي متطور في السودان الغربي الوسيط، لم تظهر في الكتابات العربية بصورة واضحة إلا في القرن 5هـ/11م على يد الجغرافي الأندلسي البكري[3] أما عن حدود هذه المملكة فهي تمتد من نهر السينغال غربا إلى نهر النيجر شرقا، ومن الشمال بلغت مجالات القبائل البربرية الصحراوية، ومن الجنوب في أقصى اتساعها كادت أن تصل الغابات الإستوائية[4]. ويبدو أن الإسلام لم يبلغها حقيقة إلا بعد القرن 5هـ/11م وهذا لا ينفي

---

(1)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 210.

(2)/ نفسه، ص : 196-221. . وكذلك : الوسياني، مصدر سابق، ج1، ص : 339. وكذلك : الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 339 .وكذلك : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 523. وكذلك : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج4، ص : 1001-1004.

(3)/ يقول عنها البكري : " ومدينة غانة مدينتان سهليتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدها يجتمعون فيه ولها الأئمة والمؤذنون ...ومدينة الملك على ستة أميال ..وتسمى الغابة وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين "ينظر : البكري، مصدر سابق، مج2، ص: 363.ينظر كذلك : مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر : سعد عبد الحميد زغلول، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص : 219-220.

(4)/ أحمد الشكري، مملكة مالي الإسلامية، أبوظبي، المجمع الثقافي، 1999، ص : 109.وكذلك ينظر :

- Raymond Mauny , « Tableau géographique de l'ouest Africain au moyen âge », *Mémoire de l'Institut Francais d'Afrique Noire*, 61 , Dakar,1961 , p.509.

دخوله أراضي المملكة منذ القرن 3هـ/9م ليجد أتباع ويبتنى له مساجد ويجتمع المسلمون في مدينة واحدة كما جاء وصفها لدى البكري وهذا كله دليل على وجود جالية مسلمة نشطة تجاريا ودعويا ولها نفوذ في البلاط الغاني ولا يستبعد أن يكون أحد المساجد التي ذكرها البكري للإباضية وأهل الدعوة منهم[1].

4/ يؤكد المعز في هذا النص لأبي نوح بعدم جدوى الإختفاء والهروب نظرا للقوة الاقتصادية للدولة الفاطمية، وقد ذكر له مملكة غانة كأبعد نقطة يمكن لأبي خزر الهروب إليها، ومع ذلك فبإمكان الدولة جلبه بأموالها وعلاقاتها الخاصة، وهذا يدل على وجود علاقات اقتصادية وربما سياسية وثيقة تربط دولة الفاطميين بهذه المملكة، وأن الفاطميين يستعملون الدراهم (العملة) في التعامل التجاري، ومن المرجح أن تواصل الفاطميين بغانة كان يتم عبر سجلماسة نظرا لحيوية الطريق الغربي[2] وقصر المسافة وإشرافه على مناجم الملح والذهب ولم يلقي المعز هذا الكلام على مسامع أبي نوح ليستدل على قوة الدولة الاقتصادية وعلاقاتها التجارية مع مملكة غانة فحسب، بل كذلك ليرهبه بقوة استخبارات الدولة الفاطمية وقدرتها على تتبع أثر مناوئيها، وفعلا فقد تمكنت عيون الدولة من إلقاء القبض على أبي نوح وهو متنكر في زي راعي إبل[3] وكذا تتبع أبي خزر ورصد مكانه بجبل نفوسة[4].

النص الثالث :

" .....وحدّث غير واحد من أصحابنا (1) أنه كانت امرأة مهتمة بأمور التلامذة ... في زمان الشيخ (2) فتزوجها رجل، فتغيب عنها من ناحية طرابلس في أحياء زناتة، فأضر بها ذلك وبلغ الشيخ غيبة زوجها عنها وإضرار ذلك بها فبعث الشيخ رجلين أحدهما يعقوب بن علي والثاني

---

(1)/ هناك دراسات كثيرة عن تاريخ غانة وأسلمتها مثل :

- أحمد الشكري، مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1997.

- إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية، القاهرة، الهيئة الإسلامية العامة للتأليف والنشر، 1970.

(2)/ ينظر حول الطريق الغربي : الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007، ص : 277-280.

(3)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 206.

(4)/ نفسه، ج1، ص : 213.

عمر بن يحي الوليلي في شأنها (3) ...وتوّجها إلى طرابلس فلما وصلا إلى الرجل خلصاها منه وكّرا راجعين، ومضى علي بن يعقوب إلى نفوسة ورجع عمر بن يحي إلى أريغ (4) . ثم إن علي بن يعقوب لما وصل إلى جبل نفوسة (5) وأخذ على تلك الناحية بات بقرية خالية الذكر في الجبل (6)، فيها عجوز ذات فضل يجتمع عليها أهل تلك القرية فيستفتونها، وكان بحيال بيت العجوز مصلّى، قال علي بن يعقوب : فصليت فيه صلاة الصبح مع أهل المنزل . فتفرق الناس وبقيت وحدي، وقعدت في موضع أقرأ فيه من القرآن ما تيّسر، إذ غلبني النوم فنبهتني قراءة لا أرى شخص قارئها، وذلك قبل طلوع الشمس فأحسست بحس تحريك ثياب جديدة ففزعت.فتكلم إلي فقال : « لا تفزع إني رجل من الجن » فسألته عن الأخبار ..... فسمعت العجوز، فتعجبت، فقالت :"سبحان الله". ثم إني إشتكيت إليه أمر الخوف والطريق، فقال لي «تعلم هذه الآية : قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل ...الآية » فأخذ يعلمني فيقرأ فأتبعه ويكررها حتى حفظتها منه، فقال أعد علّي فأعدت عليه، فقال لي قد حفظت، .....ثم إنه مضى عني .....فتنحيت إلى خربة فنمت فيها فلما انتبهت أتيت العجوز ....فقالت لي : أين تغيبت وقد جاءني الجني فدخل علي وسألني عنك فقلت لا أدري فرمى علي بحصيات...قال علي بن يعقوب فأخذتها فوجدت عليها خطّا رقيقا لا أكاد أتبينه فمضيت (7) واشتريت من تلك البلاد كساة أنطاكية (8)، فأخذت على ناحية نفزاوة (9) ومعي صاحب.فأخذني على طريق بشري حين صدرنا من نفزاوة إلى تقيوس.فلما توسطنا السبخة (10) فإذا بخيل بمقابلتنا لا نستطيع الهروب ولا نجد ما يسترنا عنهم فأخذنا إليهم الطريق فأخذوه إلينا فلما وصلناهم حلّقوا علينا وكنت أقرأ الآية التي علّمني إياها الجني وكان على تلك الخيل أمير فتكلم إلينا فتطلع وتصعد فينا بصره من فوق إلى أسفل حتى غشيني لعاب فرسه والكساة الأنطاكية على عاتقي فسألنا من أنتم؟ فقلنا تلامذة فقال : امضوا على طريقكم راشدين قال علي :" فمضيت وكنت أتوقع أن يقول لي دع الكساة فخلّصنا الله منهم فكانت معنا تلك الحصيات حتى وصلت بها إلى بلاد تادمكت (11) ولم ياكل مني مقدار قيد قط"[1].

(1)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 262-264.

1/ هذه الرواية سمعها أبو زكرياء الوارجلاني من عدة مصادر وهبية شفوية حيث يقول : "حدَّث غير واحد من أصحابنا"[1]، وهذا الكلام للتأكيد على مصداقية وصحّة الرواية فقد حدث بها في أقل الأحوال اثنين من رواة الوهبية الثقاة المعاصرين للمؤلف.

2/ يقصد به أبي عبد الله محمد بن بكر وقد سبق ترجمته[2].

3/ محور الرواية هو علي بن يعقوب، وللأسف فالمعلومات عن هذه الشخصية قليلة جدا كونها لم تظهر على مسرح الأحداث سوى مرة واحدة، ولم يتحدث عنه إلا أبو زكرياء الوارجلاني أثناء تناوله لقضية امرأة تزوجها رجل ثم غاب عنها في ناحية طرابلس، فتولى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر أمر تطليقها منه بارسال كل من علي بن يعقوب وعمر بن يحي الوليلي إلى طرابلس ومن المرّجح أن يكون الشخصين المذكورين فقيهين عاشا في النصف الأول من ق 5هـ/11م في أريغ[3]. لأن الدرجيني لم يذكرهما إلا ضمن ترجمة أبي عبد الله محمد بكر وهو من علماء الطبقة التاسعة 400-450هـ/1010-1058م[4].

4/ قول الوسياني : "ومضى بن يعقوب إلى جبل نفوسة ورجع عمر بن يحي إلى أريغ" يدل على أن الرجلين في طريق الذهاب سلكا طريق لا يمر بجبل نفوسة ما يرجح أنهما انطلقا من أريغ إلى بلاد الجريد ومنها لمّا إلى طرابلس أما عن قوله ورجع...يدل على أنهما في طريق العودة افترقا حيث عاد عمر على الطريق نفسه بينما سار علي منفردا إلى جبل نفوسة.

---

(1)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 262.

(2)/ سبق ترجمته في الصفحة 27.

(3)/ لأن عمر بن يحي الوليلي لما أتم مهمته رجع إلى أريغ وهذا يعني أنه انطلق منها، ينظر : أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ج1،ص : 262.

(4)/ ينظر : الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 378 .

5/ بعد أن أتمّ علي بن يعقوب مهّمته خرج من طرابلس إلى جبل نفوسة وهو عبارة عن سلسة جبلية تحيط بطرابلس طولها 200كم، مساحته 4000كم^2، ويتكون الجبل من مدن وقرى كثيرة[1]، استوطن الجبل قبيلة نفوسة[2] ومنها أخذ تسميته.

6/ يذكر صاحب الرواية أنه بات "بقرية خالية الذكر" فهل هذا اسم لقرية من قرى الجبل؟ لم يحدد لنا اسم القرية لأسباب مجهولة، ربما كونه لا يعرف اسمها ولم يمكث فيها طويلا حتى يتعرف عليها ويبدو من الرواية أن مدة إقامته بالقرية لم تتعد ليلة واحدة واليوم الموالي لها ثم سار في وجهته.

7/ صاحب الرواية أسهب في تفاصيل الحوار الذي دار بين علي بن يعقوب والجني بالمسجد، دون شك هذه الرواية تهدف إلى إضفاء طابع قداسي على شيوخ المذهب وهي ميزة تميزت بها الكتابة التاريخية الإباضية بعد ق 3هـ/9 م كونها أصبحت كتابة تمجيدية لا تتورّع عن توظيف الأسطورة والخرافة وإن كانت تمس بقيمة العالم ومكانته العلميّة[3].

8/ في النص ما يؤكد وجود السلع المشرقية بجبل نفوسة من المرّجح أنها جلبت من الشام وقد اقتنى علي بن يعقوب كساة أنطاكية (مدينة أنطاكية بسوريا الحالية) ونقلها معه إلى تادمكت.

9/ ناحية نفزاوة وهي منطقة ببلاد الجريد جنوب تونس الحالية، يبدو أنها أخذت التسمية من اسم قبيلة نفزاوة وتعتبر مدينة جادو من أقرب مدن جبل نفوسة إليها، لذا أرجح أن يكون علي

---

(1)/ مسعود مزهودي، جبل نفوسة، مرجع سابق، ص : 21-24.وينظر كذلك : جون ديبوا، جغرافيا جبل نفوسة، تر : عبد الله زارو، ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2005، ج1، ص : 39-35.وكذلك ينظر : مفتاح صالح بن معيوف ، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، ليبيا،مؤسسة تاوالت الثقافية، 2006، ص : 21-25.

(2)/ ينظر حول هذه القبيلة وبطونها : ابن خلدون، العبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، مج6، ص : 230.

(3)/ أشار عبد الرحمان أيوب إلى وجود أحداث أسطورية في سيرة الوارجلاني حيث يقول : " ولقد راودتني نفسي مرارا بأن أسقط من النص الأحداث الأسطورية والمسندة لشيخ من الشيوخ والتي تبدوا نشازا "، أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، ص : 16.ينظر كذلك حول الكتابة التاريخية الإباضية : علاوة عمارة، " الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"، *مجلة التاريخ العربي*، 32 (2004) ،ص : 330-370.

بـن يعقـوب قـد بـات في إحـدى قـرى جـادو ثم اتجـه نحـو نفـزاوة، وتعتـبر مجـالات نفـزاوة المنطقـة الفاصلة بين جبل نفوسة وبلاد الجريد ويستغرق السّير عبرها ستة أيام[1].

10/ تقيـوس وهـي إحـدى مـدن بـلاد الجريـد جنـوب تـونس قـديما "Theges" وتسـمى حاليـا "ودقـاش"، وتقـع على الخـط الـرابط بـين نفـزاوة وجـادو وبالتـالي يكـون علـي بـن يعقـوب قـد مـر بجـادو في طريقه نحو تقيوس عبر بشري مرورا بسبخة تاكْمرت وكلها مناطق ببلاد الجريد التونسي[2].

11/ بـلاد تادمكـت=تادمكـة=السـوق حاليـا، وهـي مدينـة وسـوق تجـاري مشـهور في السـودان الأوسـط في سـفح أدرار إيفوغـاس موغلـة في الصـحراء تبعـد عـن وارجـلان بمسـيرة 50 يومـا تـرتبط بعـدة طـرق تجاريـة نشـطة منهـا طريـق القـيروان عـبر وارجـلان ومنهـا 14 يـوم إلى قسـطيلية ومنهـا 7 أيـام إلى القـيروان وبالتـالي تسـتغرق الرحلـة 71 يومـا، وطريـق طـرابلس 40 يومـا في الصـحاري إلى غـدامس ومنهـا إلى جبـل نفوسـة 7 أيـام ومـن نفوسـة إلى طـرابلس 3 أيـام وبالتـالي تسـتغرق رحلـة تادمكت طرابلس عبر غدامس حوالي 50 يوم[3].

مـن خـلال تحليـل الـنص يمكننـا اسـتخلاص مراحـل الطريـق الـذي سـلكه علـي بـن يعقـوب نحو تادمكت بالسودان الأوسط انطلاقا من جبل نفوسة على النحو التالي:

مـن جبـل نفوسـة (جـادو) إلى نفـزاوة ومنهـا إلى تقيـوس مـرورا ببشـري وسـبخة تـاكمرت (6 أيـام) ثم إلى وارجـلان عـبر أسـوف وأريـغ (14 يـوم) ومنهـا إلى تادمكـت بالسـودان الأوسـط عـبر الهقـار (50 يـوم) وبالتـالي يكـون علـي بـن يعقـوب اسـتغرق في رحلتـه إلى تادمكـت مـن جبـل نفوسـة

---

(1)/ ينظر : الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح : مجموعة محققين، مكتبة الثقافة الدينية ، دت، ص : 283. وينظر : صالح معيوف مفتاح، مرجع سابق، ص : 62. وكذلك : محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص : 38.

(2)/ وصفها الإدريسي بقوله : " تقيوس مدينة حسنة تقع بين الحامة وقفصة وهي مدينة عامرة لها غلات وبها نخل ومنها إلى قفصة مرحلة "، الإدريسي، المصدر السابق، ص : 277. ينظر كذلك: الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سابق، ص:156.

(3)/ ينظر : البكري، مصدر سابق، مج2، ص : 371.

70 يوما[1]، لكن لماذا لم يسلك طريق غدامس فمن طرابلس إلى تادمكت عبر غدامس تستغرق الرحلة كما رأينا 50 يوم فقط؟ ربما الطريق لم يكن آمنا فحواره المزعوم مع الجني يثبت أنه كان خائفا من انعدام الأمن، ومن المستبعد أن يكون ابن يعقوب قد سلك الطريق الغدامسي[2] باعتباره ينطلق مباشرة من شروس إلى غدامس ولا يستدعي الذهاب إلى غاية تقيوس، وهذا يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن صاحب الرحلة عاد أدراجه إلى المكان الذي انطلق منه من نفوسة عبر بلاد الجريد بحيث مرّ بأسوف ثم أريغ ثم وارجلان ومنها اتجه إلى تادمكت، لكن ما هي أسباب هذه الرحلة؟ في الحقيقة تتكتّم الرواية عن دوافع ابن يعقوب من رحلته فالّرجل على الأرجح لم يسافر نحو تادمكت من أجل التجارة، لكننا نرّجح أنه كان في رحلة دعوية باعتباره فقيه وهبي، أو على الأقل كان بصدد زيارة أهل الدعوة في تادمكت ومهما كانت دوافع الرحلة فالأكيد أنه يوجد طريق تجاري يربط جبل نفوسة بتادمكت عبر بلاد الجريد التونسي خلال القرن 5هـ/11م[3].

إذن النصوص السابقة من الأول إلى الثالث عثرت عليها ضمن الجزء الأول من سيرة أبي زكرياء الوارجلاني بتحقيق عبد الرحمان أيوب، أما عن الجزء الثاني الذي حُقّق ضمن سيرة أبي زكريا فقد ظهرت دراسة حديثة سنة 2008[4]نفت أن يكون من تأليفه ولا من تأليف القنطراري كما يرى محقق مجموع السير[5] وخلصت الدراسة بعد جهد من البحث و التدقيق إلى أنه من

---

(1)/ البكري، مصدر سابق، مج2، ص : 372. ينظر الخريطة من وضع المحقق : الشماخي، مصدر سابق، ج1، ص : 92.ينظر كذلك: صالح مصطفى مفتاح، ليبيا من الفتح العربي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر،الشركة العامة للنشر والتوزيع،1978،ص : 216-217.

(2)/ سمي بالغدامسي لأنه ينطلق من شروس ويمر عبر غدامس ويسمى كذلك بالطريق السوداني، ينظر : إبراهيم بحاز، مرجع سابق، ص : 264.

(3)/ ينظر : الناني، مرجع سابق، ص : 280-283. ينظر كذلك : إبراهيم فخار،" تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى"، *تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر*، معهد البحوث و الدراسات العربية، 1984، ص : 47-68.

(4)/ Amara Allaoua , « Remarque sur le receuil ibâdite-wahbite siyar al mašâ'ih : retour sur son attribution » , *AAM* , 15 (2008) , p.31-40.

(5)/ حققه عمر لقمان حمو سليمان بوعصبانة .

تـأليف أبي العبـاس أحمـد بـن محمـد بـن بكـر الفرسـطائي النفوسـي (ت 504هـ/1110م)، ويـأتي مـن الناحيـة الكرنولوجيـة في المرتبـة الأولى ضـمن مجمـوع السـير فقـد تم تأليفـه في النصـف الثـاني مـن القـرن 5هـ/11م وسأشير إلى ذلك في الوقت المناسب.

03/ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي (ت504هـ/1110م)، **السيرّ**[1].

مـن علمـاء وارجـلان أصـله مـن جبـل نفوسـة، ابـن مؤسـس نظـام العزابـة محمـد بـن بكـر، مـن شـيوخه أبي الربيـع سـليمان بـن يخلـف المـزاتي (ت 471هـ/1078م)، ألّـف الكثـير مـن الكتـب أشـهرها القسـمة وأصـول الأرضـين تـوفي سـنة 504هـ/1110م[2].مـن تآليفـه كـذلك السـّير المنسـوب لأبي زكريـاء ألّفـه في النصـف الثـاني مـن القـرن 5هـ/11م ، وعليـه سـأعرض نصـوص هـذا الكتـاب بشكل و ترقيم مستقلين عن نصوص أبي زكرياء الوارجلاني.

النص الأول :

"...وقيـل إن عبـد الله بـن الأمـير (1)طلـع ذات مـرة مـن جربـة فشـيّعه أهـل جربـة وفـيهم أبـو القاسـم يـونس بـن أبي زكريـاء فلمـا قربـوا مـن البحـر رفـع أبـو القاسـم عبـد الله...حـتى أدخلـه القـارب، فنظـر إليه قوم من العامة...فقالوا: انظروا إلى يونس بن أبي زكرياء قد حمل الأسود على ظهره (2)"[3].

1/ أبـو محمـد عبـد الله بـن الأمـير اللمـائي تـرجم لـه الـدرجيني ضـمن علمـاء الطبقـة التاسـعة 400-450هـ/1010-1058م، عاش في جزيرة جربة، ولد من آمة سودانية[4].

2/ مـن خـلال الروايـة نلاحـظ أن عبـد الله بـن الأمـير كـان أسـود اللـون لأن أمـه آمـة جلبـت مـن بـلاد السـودان، وهـو الأمـر الـذي جعلـه عرضـة للسـخرية مـن قبـل سـكان جزيـرة جربـة، ومـا يسـتفاد بـه مـن هـذه الروايـة أن تجـارة العبيـد في بـلاد المغـرب أثّـرت مـع مـرور الوقـت علـى التركيبـة الإجتماعيـة

---

(1)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص : 763-917.

(2)/ ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج2، ص : 95-98.

(3)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج2، ص : 291.

(4)/ ينظر : الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 414.

لمجتمعات بلاد المغرب خاصة لدى الجماعات الإباضية، لأنها مهتمة بتجارة العبيد مع الضفة الجنوبية.

النص الثاني :

في حديثه عن الغاية (1) امرأة أبي القاسم (2) أحد شيوخ الوهبية يقول : "و وُيِّ أن هذه المرأة نُعي ولد لها مات في السفر فقامت تصلي، فقالت : أخبرني ما فعل لون وجهي حين سمعت الخبر"[1].

يبدو أنّ العبّاس الفرسطائي نقل هذه الرواية عمَّن يثق فيه من الرواة الوهبيين، فصيغةُ وُيِّ تدل على أن الـ اوّي مجهول، وليس مستبعدا أن يكون شيخه أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، فكتابه في أغلبه عبارة عن نقل لروايات شيخه وروايات والده محمد بن بكر، وهذا النص سيتكرر في مجموع السّير مع تحديد وجهة سفر الشخص المتوفى بالضبط وسنفصّل فيه في الوقت المناسب.

1/ المعلومات عن الغاية زوجة أبي القاسم قليلة فهي غير معروفة خارج تلك الروايات التي تتحدث عن مدى ورع هذه المرأة وتميزها بالعلم والمعلومات ذاتها تكررت عند الدرجيني، توفيت بعد 358هـ/969م[2].

2/ أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني الحاّمي من شيوخ الإباضية الوهبية المعروفين بالحامة ببلاد الجريد التونسي، وقد كان لهذا العالم علاقة طيبة مع المعز ومكانة عظيمة عنده نظرا لوزنه الكبير لدى الإباضية، إذ يقول عنه أبو زكرياء :"وبلغنا عنه أنه إذا دخل مدينة القيروان اضطربت المدينة كلها من أجله بفنون العلم والسؤالات المعضلة التي يدخرونها"[3]، قتل على يد عامل المعز بالحامة وقد اعتمد الوارجلاني في روايته لحادثة قتل أبي القاسم على ما رواه أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي من أن حوارا دار بين أبي القاسم ورجل يهودي انتهى الكلام إلى قول أبي

---

(1)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج2، ص : 299.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 298. وكذلك : الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص : 120-121.وكذلك : مجموع السير، مصدر سابق،ج1، ص : 340-341.

(3)/ نفسه، ج1، ص : 196. وكذلك : مجموع السير، المصدر السابق، ج1، ص : 341. وكذلك : الدرجيني، المصدر السابق، ص : 119-140 . ينظر كذلك : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 523.

القاسم:"ليس بيننا وبينه إلا يسيرا فنظهر عليه ونخرجه من تلك المدينة إن شاء الله"[1] فأبلغ اليهودي مقالته إلى المعز، وهذا الرواية تؤكد دور اليهود في البلاط الفاطمي ودعَّم ذلك طعن وزراء المعّز في أبي القاسم خوفا من تأثيره على العامة وثورته على نظام سيدّهم، فتخوف المعز منه وأنفذ الأمر بقتله، ولم ينفذ عامله الأمر إلا بعد تهديد المعز له بالتصفية، لكن المتأمل في أطوار الرواية لا يجد أية إشارة تدل على أن أبا القاسم يقوم بتحضيرات فعلية لثورة ضد الفاطميين، وبذلك يكون قد قتل سنة 358هـ/969م[2].

النص الثالث :

" وذكر أيضا أبو الربيع سليمان بن موسى بن عمران (1) : أن أبا صالح (2) ساق جمالا له من القبلة (3) ليبيعها في وارجلان فاشترى منها رجل جملا فسأل الرجل عن الثمن فقال له : " ثمن جملك في تادمكت". فجّهز أبو صالح للسيّر معه إلى تادمكت (4) فأخذ جملا يركبه فقال له رجل آخر : "احمل لي على جملك ثيابا" (5) فأجابه إلى ذلك . فقال له أبو صالح : "بكم نبيع حملك؟ فقال بكذا وكذا فوصل الشيخ تادمكت فساوم الجمل فبقي مما رصده صاحبه له شيئ يسير نحو ثلاث أرباع القيراط (6) فلم يبعه فقفل به راجعا إلى وارجلان وما سمعنا بجمل رجع من تادمكت قط إلى وارجلان غيره (7) والحمد لله رب العالمين"[3].

1/ تكاد تغيب المعلومات في المصادر الإباضية عن الراوي أبي الربيع سليمان بن موسى بن عمران لولا أن ذكره الفرسطائي، وخصّه برواية الأخبار عن أبي صالح الياجراني، عاش على الأرجح في النصف الأول من ق 5هـ/11م[4].

---

(1)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص :198.

(2)/ ينظر : الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص : 101 . وكذلك ترجمته في : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج4، ص : 982-981.

(3)/ أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ج2، ص : 313.

(4)/ نفسه، ج2، ص : 313. وينظر كذلك : لوفيتسكي، المؤرخون، مرجع سابق، ص : 64. وكذلك ينظر :

- Lewicki , « Quelque … » , op.cit , p.1-27

2/ أبو صالح الياجراني ينتمي إلى بني غسريت فرع من زناتة، يكنى باسم "تبركت" من شيوخ الوهبية، يذكر الدرجيني أنه عاش بوارجلان في الفترة الممتدة بين 350-400هـ/961م-1010م إذ صنّفه ضمن علماء الطّبقة الثامنة، هاجر أبو صالح من وارجلان إلى أدرج بسبب فتنة وقعت بالبلد وأقام بها سبع سنين ثم عاد إلى وارجلان، من الشيوخ المعاصرين له أبي عبد الله محمد بن بكر، توفي على الأرجح في النصف الثاني من ق 4هـ/10م[1].

3/ القبلة منطقة بعيدة من وارجلان، يرى لوفيتسكي أن القبلة تعني الجنوب أي الصحراء، كما يتوقع أن تكون تصحيف لكلمة "قبيلي" منطقة في ناحية نفزاوة[2]، لكنه نسي أن القبلة تعني في اللغة العربية الناحية الشرقية (قبلة=اتجاه الكعبة في الشرق) وهذا هو الصواب، فالدرجيني في ترجمته لأبي صالح قال :" فخرج مهاجرا إلى ناحية أُد جَروكان له بها إبل..." وأدرج تقع شرق وارجلان وهذا يعني أن الإبل التي أحضرها ليبيعها في وارجلان إنما جاء بها من أُد جَروبذلك تكون القبلة المقصودة في النص.

4/ تادمكت مدينة ومركز تجاري بالسودان الأوسط ترتبط بوارجلان بطريق تجاري معروف يمر عبر منطقة الهقار ومدة السفر عبر هذا المحور تقدر بـ 50يوما[3]. فهل قطع أبو صالح كل هذه المسافة ليقبض ثمن جمله فقط؟ الأكيد أنه ذهب للتجارة كذلك، فقد حمل على جمله حمل ثياب فعلى الأقل سيقبض ثمن الحمولة ويشتري من تادمكت سلع ليبيعها في وارجلان.

5/ من البضائع التي كانت تصدّر نحو السودان الأوسط "الثياب" ولابد أنها كانت تجارة رابحة وإلا ما مارسها أهل وارجلان، وقطعوا هذه المسافة الطويلة لأجلها، ربما هذا يدعم قصة علي بن يعقوب التي اشترى من جبل نفوسة كساة أنطاكية وسافر بها إلى تادمكت وهذا على الأرجح يعود لغلاء الثياب بتادمكت.

---

(1)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 372-376.

(2)/ Lewicki , « Quelque… » , op.cit , p.1-27.

(3)/ تعريفها في الصفحة 36. ينظر حول طريق وارجلان تادمكت :

- Lewicki , *Études maghrebines* , op.cit , p.32-40.

6/ هـذا المقطـع مـن الروايـة يثبـت أن التعامـل التجـاري كـان علـى الأقـل في ق 4هـ/10م يـتم بعملـة ذهبيـة وقـد ذكـر البكـري العملـة في تادمكـت :"... ودنـانيرهم تسـمى الصُّـلع لأنهـا ذهـب محـض غـير مختومـة ..."[1]، وربمـا هـذه العملـة كانـت تضـرب في وارجـلان فقـد قـال الإدريسـي عـن هـذه الأخـيرة في ق 6هـ/12م :" ...قبائـل مياسـير وتجـار أغنيـاء يتجولـون في بـلاد السـودان ....فيخرجـون منهـا التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبيّة إباضيّة...."[2].

7/ هـذه الرواية تصـف لنـا مـدى صـدق أبي صـالح العـالم والتـاجر وتنفيـذه للوصـية علـى أتم وجـه حـتى اسـتغرب الـراوي هـذه القصـة حـين قـال:" ومـا سمعنـا بحمـل رجـع مـن تادمكـت قـط إلى وارجـلان غيره...".

IV. القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي :

لقـد مثّـل القـرن 5هـ/11م بدايـة عـودة جماعـة الإباضـية الوهبيـة إلى حقـل الكتابـة التاريخيـة والإنتـاج الفكـري والإسـهام في التـأريخ لـبلاد المغـرب مـن خـلال التـأريخ للجماعـة، وذلـك بعـد أن انتعشـت فكريًّـا وأصـبحت أكثـر تنظيمـا مـن الناحيـة الإجتماعيـة، وتنظـيرا مـن الناحيـة السياسـية والعقديـة كنتيجـة حتميـة لنظـام إصـلاحي ظهـر في بدايـة هـذا القـرن، وخـرّج الكثـير مـن العلمـاء و المؤرّخين ورواة الأخبـار كـان علـى رأسـهم أبـو زكريـاء الـوارجلاني، وسـيعرف تـاريخ الجماعـة الوهبيـة نقلـة نوعيـة خـلال ق 6هـ/12م خاصـة علاقاتهـا مـع الضـفة الجنوبيـةوهـذا مـا يظهـر جليًّـا في عـدة مصادر بيوغرافية في هذا القرن مثل "مجموع السّير".

لقـد ظهـرت في الفـترة الممتـدة بـين 1934 و2002 دراسـات كثـيرة اهتمـت بمجمـوع السّـير و عملـت علـى الاسـتفادة مـن نصوصـه في دراسـات كثـيرة عـن الإباضـية و تاريخهـا و علاقاتهـا المختلفـة[3]، لكـن هـذه الدراسـات رغـم كثرتهـا إلا أنهـا لم تفصـل نهائيـا في قضـية هـذا المجمـوع ولم

---

(1)/ البكري، مصدر سابق، مج2، ص : 370.

(2)/ الإدريسي، مصدر سابق، ص:296.

(3)/ من بين تلك الدرسات أذكر :

- Tadeusz Lewicki , « Le rôle du Sahara et des Sahariens dans les relations entre le Nord et le Sud » , *Histoire générale de l'Afrique* , Paris, Unesco/Nea , 1990, vol.3, p. 304-339.
- Ibid, « Les subdivisions de l'Ibāḍiyya » , op.cit , p. 71-82.
- Ibid, « De quelques textes inédits… » , op.cit , p. 275-296.

تجتهد في تحديد ونسبة كل جزء لمؤلفه الحقيقي، وبقي المجموع في كل مرة ينسب للوسياني، رغم وجود إشارات واضحة تدل على أن الوسياني لا يملك منه سوى جزء واحد، وانتهت مرحلة استغلال مخطوط مجموع السيّر بإقدام عمر لقمان حمو سليمان بوعصبانة بتحقيقه في إطار أطروحة دكتوراة نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر بتاريخ 03 جوان 2006، و على الرغم من وصوله لنتائج حول مؤلّفي المجموع بغضّ النظر عن مدى دقتها فإنه طبع الأجزاء (الكتب) الثلاثة بعنوان سير الوسياني محتفظا بنسبتها للوسياني[1]ولم يخرج عن التقليد المعروف إزاء المجموع، ونظرا لذلك فقد انتقد الباحث علّاوة عمارة هذه النتائج و أعاد النظر في نسبة كل جزء من المجموع لمؤلفه الحقيقي و خرج بنتائج أقل ما يقال عنها أنها أكثر دقة وموضوعية من سابقاتها فقد اطّلع على نتائج الدراسات السابقة وأعاد قراءة المجموع ليصل إلى النتائج التالية[2] :

- 1/ الكتاب الثالث ضمن المجموع المحقق من طرف بوعصبانة من تأليف أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي (ت 504هـ/1110م) ويأتي من الناحية الكرنولوجية في المرتبة الأولى فقد تم تأليفه في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م[3].
- 2/ الكتاب الأول ضمن المجموع من تأليف الوسياني مع احتوائه للمسات لبعض تلامذته و يأتي في المرتبة الثانية فقد تم تأليفه في النصف الأول من القرن 6هـ/12م[4].
- 3/ الكتاب الثاني ضمن المجموع من تأليف تلميذ مجهول المعلومات عنه لا تتعدى كونه تتلمذ عند الشيوخ الثلاثة :"أبو عمرو السوفي، أبو نوح صالح بن إبراهيم الزمريني، أبو

- سعد زغلول عبد الحميد، "هامش على مصادر تاريخ الإباضية في المغرب، دراسة لكتاب السير "، *أعمال المؤتمر الأول لتاريخ وحضارة المغرب، تونس*، 1979، ص : 275-296.

- Ulrich Rebstock , *Die Ibāḍiten im Maġrib (2/8–4/10.Jh.). Die Geschichte einer Berberbewegung im Gewand des Islam* , Klaus Schwarz Verlag, Berlin, 1983, p. 11-12.

- الوسياني، سير المشائخ، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985.

- K.S.vikor , « al-Wissyānī » , *Encyclopaedia of Islam* , Leiden, E. J. Brill, 2002, vol.11 , p.212.

(1)/ طبع في مسقط تحت إشراف وزارة التراث القومي والثقافة، 2009، 3ج.

(2)/ Amara Allaoua , «Remarque sur le…» , op.cit , p.31-40.

(3)/ مجموع السير، المصدر السابق، ج2، ص :763-917.

(4)/ نفسه، ج1، ص : 227-517.

الربيع الوسياني" ويأتي في المرتبة الثالثة فقد تم تأليفه في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م[1].

وعلى أساس هذه النتائج سأرتب النصوص وأفصلها عن بعضها البعض بحيث تكون مستقلة من حيث الترقيم كل كتاب على حدى ومرتبة وفقا للنتائج السالفة الذكر.

بالنسبة للكتاب الأول الذي ألّفه أبو العباس الفرسطائي ناقشت نصوصه ضمن مصادر القرن 5هـ/11م لأنه أُلّف في النصف الثاني من هذا القرن و لن أضيف هنا سوى ملاحظة واحدة وهي أن الكتاب الخاص بالفرسطائي و المحقق من طرف بوعصبانة والمطبوع باسم الكتاب الثالث ضمن الجزء الثاني من مجموع السير لا يتضمن سوى نص واحد وهو النصّ الثالث مثلما وضعته ضمن نصوص الفرسطائي في القرن 5هـ/11م والمنسوبة لأبي زكرياء الوارجلاني أما عن النصين الأول و الثاني فهما موجودان ضمن الجزء الذي ألّفه أبو الربيع الوسياني، و عليه فسأقتصر هنا على نصوص هذا الأخير و نصوص المؤلّف المجهول.

01/ أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني (ت بعد 557هـ/1162م)، السيّر[2].

أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني ينحدر من بني واسين فرع من زناتة ترجم له الدرجيني ضمن علماء الطبقة الثانية عشرة (550-600هـ/1155-1203م)، توفي بعد 557هـ/1162م[3]، يعتبر أول مؤرخ وهبي تفطّن لقلّة التأريخ لأخبار الجماعة وهو السبب الذي حمله على تأليف كتاب السّير[4].

الآن سأناقش ما جاء في كتاب السير الخاص بالوسياني من نصوص تؤرخ للعلاقات التجارية لجماعة الوهبية مع الضفة الجنوبية للصحراء.

---

(1)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص : 519-761.

(2)/ نفسه، ج1، ص: 227-517. ويبدأ بقول المؤلف :" قال أبو الربيع...".

(3)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 513 . وكذلك : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 656.

(4)/ ينظر، معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج3، ص : 421.

النص الأول :

روايات أبي معروف ويدّرن بن جواد (1) : " قال فأصيب بعضهم في بصره فقال ابن ماطوس (2) : الحمد لله الذي جعله له في دنياه ولم يجعله له في آخرته، والمصاب أبي معروف في عينه (3) .و بعث إلى الشيخ عبد الحميد الفلّيّ (4)، وهو عالم كبير من علماء أهل الدعوة، وكان في بلاد السودان مسيرة شهر من جبل نفوسة (5)، فقال: أرسل لي دواء العين (6)، فقال عبد الحميد حين بلغته المغلغلة (رسالة أبي معروف): عجبا لهذا الشيخ، أعطاه الله شفاء الذنوب ثم يسأل ما يزيله عنه فبلغ أبا معروف قوله، فقال ما جعلني الفلّيّ إلا كالصبي أرضع الإبهام.وعبد الحميد يعني أجر المصيبة وما يكسبه من العين من الإثم خلص منه. وعنى أبو معروف ما يكسب من الخير بالبصر والقراءة للكتب والمشي إلى مواضع الذكر، كل ذهب لوجه مصيب فيه"[1].

1/ أبو معروف ويدّرن بن جواد من علماء الوهبية ترجم له الدرجيني ضمن علماء الطبقة السادسة 250-300هـ/864-913م، عاش بمدينة ويغوا بجبل نفوسة وامتهن التجارة في دكان له، كان على علاقة بعلماء فزان، ومنهم عبد الحميد المذكور في النص والذي عاش ببلاد السودان، من تلامذته أبي مسور اليراسني، توفي على الأرجح أواخر النصف الثاني من ق3هـ/9م[2].

2/ ضمن روايات أبي معروف ويدّرن بن جواد وفي حادثة إصابته في عينه اعتمد الوسياني على رواية شخصية باسم ابن ماطوس حيث قال : "فقال ابن ماطوس ..."[3] ما يعني أن هذا الراوي عاش بعد أبي معروف بزمن،بتتبّع نصوص الدرجيني عثرت على شخصيتين تحملان اسم "ابن ماطوس" الأولى ذكرها في معرض ترجمته لأبي معروف ويدّرن بن جواد ضمن علماء الطبقة السادسة[4]، بينما ترجم للشخصية الثانية ضمن علماء الطبقة السابعة 300-350هـ/913-

(1)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص : 242-243.

(2)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 325-329.ينظر كذلك : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج4، ص:938. ينظر كذلك : محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على السودان الغربي (ق2-8هـ/ق8-14م)، ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008، ص : 116.

(3)/ مجموع السير، المصدر السابق،ج1، ص : 242.

(4)/ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص : 327.

961م، ويحمل تسمية أبي الربيع سليمان بن ماطوس، عاش في شروس بجبل نفوسة من تلامذته أبي صالح اليراسني[1] وهو صاحب الرواية عن أبي معروف ومن المرجح أن يكون توفي خلال النصف الأول من ق 4هـ/10م أو بعده بقليل.

3/ المصاب هو أبي معروف ويدّرن بن جواد ولم يذكر لنا الوسياني أسباب هذه الإصابة غير أن الدرجيني في ترجمته لأبي معروف يقول : " وروي أن المعـّز؟ أمير القيروان أهدى سيفا لمشائخ الجبل يريد تشتيت أمرهم...فقال بعضهم ردوه، قيل وقال آخرون امسكوه فإن عطايا الملوك جائزة وأصيب من أدلى بهذا الرأي في بصره لما جاءهم من الفتيا بما لم يعهدوا العمل به، فقال ابن ماطوس الحمد لله الذي جازاه في أن جعل له عقوبة ذلك في بدنه ...قيل والمصاب ببصره هو أبو معروف...."[2] يفهم من هذا المقطع أن إصابة أبي معروف في بصره كانت بسبب تلك الفتوى التي أصدرها في شأن هدية المعز أمير القيروان، لكن من المقصود بالمعّز هنا ؟ يقول الوسياني : " وروي أن أمير القيروان المعـّز بن باديس أهدى سيفا لمشائخ الجبل وإنما طلب في ذلك اختلافهم ..."[3]، لكن المعّز بن باديس بن أبي الفتوح بن يوسف بن زيري تولى الحكم في الفترة الممتدة بين (406-453هـ/1015-1061م)[4] فكيف يصدر إذن أبو معروف فتوى في هذه الهدية في نهاية القرن 3هـ/9م والمعـّز بن باديس لم يصل إلى الحكم إلا في بداية ق 5هـ/11م؟ ومهما يكن من أسباب هذه الإصابة فالمهم أنها كانت السبب الذي حمل أبي معروف على مراسلة صديقه عبد الحميد الفزاني فمن هو هذا الطبيب يا ترى؟

4/ عبد الحميد الفـّزاني، المعلومات عنه قليلة، يعتبر من علماء الوهبية، ويبدو من تسميته أنه من واحة فزان، ذكره الدرجيني ضمن تراجم الطبقة السادسة على أنه كان عالما كبيرا من أهل الدعوة وكان قاطنا ببلد السودان، يبدو أنه توفي نهاية القرن 3هـ/9م[5].

---

(1)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 349.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 326-327.

(3)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص :241 -242.

(4)/ ينظر : رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977، ص : 42.

(5)/ مجموع السير، المصدر السابق، ج1، ص : 242 . وكذلك : الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص : 327.

5/ نجد في النص أ ن عبد الحميد الفلّيني كان يقطن في منطقة ببلاد السودان الأوسط تبعد عن جبل نفوسة بمسيرة شهر، لقد رجّح الباحث لوفيتسكي اعتمادا على معطيات اليعقوبي (ت ق 3هـ/9م)[1] وكذا معطيات البكري ق 5هـ/11م[2] أن تكون المنطقة المقصودة في النص هي كلّو التي تبعد عن زويلة بمسيرة 15 يوما وهي تبعد بدورها بمسيرة 13 يوما عن جادو، مدينة ومركز تجاري معروف بجبل نفوسة وبالتالي تكون المسافة 28 يوما وهي توافق معطيات الوسياني وهذا يؤكد أقدمية الطريق واستخدام القوافل له، وفي القرن 3هـ/9م نجد العالم أبي عبيدة عبد الحميد الجنّاوني يتقن لغة كانم[3] وهذا دليل على أنه سافر إلى المنطقة مرارا من أجل التجارة[4].

6/ طلب أبو معروف في رسالته من عبد الحميد أن يبعث له دواء العين، وهذا يثبت أن الأخير كان يمارس مهنة الطب في كّوار أو على الأقل على علم بالأدوية واستعمالاتها، لكن ليس في النص ما يثبت أن الدواء قد جُلب للمريض، غير أن عبد الحميد فضّل له الصبر على المرض فقال ابن جواد :" ما جعلني الفزاني إلا كالصبي أرضع الإبهام..." ولابد أن الرد لم يصل إلا بعد شهرين فالرحلة بين المنطقتين تستغرق شهرا من السّير.

النص الثاني : روايات الشيخ أبي محمد عبد الله بن مانوج اللمائي الهواري (1).

" وعن أبي محمد : إذا رأى المشتري الشيء ورضيه ورأى البائع الثمن ورضيّه (2)، قال ذلك رضًا بالبيع، لأن حقيقة البيع التراضي، وهي مسألة السودان (3)"[5].

1/ أبو محمد عبد الله بن مانوج اللّمائي ترجم له الدرجيني في طبقاته ضمن علماء الطبقة التاسعة (400-450هـ/1009-1058م)، نشأ في جربة وطلب العلم على أبي مسور وأبي صالح

---

(1)/ اليعقوبي، البلدان، مصدر سابق، ص : 135.

(2)/ البكري، مصدر سابق، مج2، ص : 181-186.

(3)/ ينظر حول كانم : ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح : حمزة أحمد عباس، أبو ظبي، المجمع الثقافي، السفر الرابع، ص: 95-98.

(4)/cf . Lewicki , « Quelques … » , op.cit , p.1-27.

(5)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص : 319.

اليراسنيّين، شارك في تأليف ديوان الأشياخ توفي على الأرجح في النصف الأول من القرن 5هـ/11م[1].

2/ ركّز صاحب الرواية على عملية البيع بين صاحب السلعة والمشتري وهي تقوم كما يقول على المشاهدة والرضا بين الطرفين.

3/ يربط الوّي هذا النمط من البيع ببلاد السودان وهذا دليل على أن تجار بلاد المغرب لا يتقنون اللغات المحلية المتداولة في بلاد السودان ولذلك كانت المعاملات التجارية مع السودانيين تتم بالطريقة المذكورة.

النص الثالث :

" و ذكر أن عزّون مصطّرقال للشيخ عبد الله بن الأمير اللمائي رحمه الله : لو كان العبد من ديباج لكان طرفه من تليس..."[2].

هذا النص وجدت إشارة عنه عند الفرسطائي (النص الأول) أن سكان جربة سخروا من عبد الله بن الأمير كونه أسود اللون و هذا الأمر كذلك مع الشيخ عزون مصطّرالذي عاش خلال النصف الأول من القرن 5هـ/11م بجربة[3] وسخر من عبد الله وهذا دليل على أن الجنس الأسود مستحدث في المجتمعات المغربية.

النص الرابع :

" وذكر (1) أن والده أفلح (2) لم يبلغ الحلم إلا وقد قعدت عليه ثلاث حلق : واحدة في الكلام، وأخرى في اللغة والثالثة في الفقه .ومكث في الولاية خمسين سنة أقل سنة .ولم يعد قط في ولايته ليوم جمعة ولا لخطبة جمعة . وأنه مع ذلك أراد السفر إلى جوجو (3) فلما برز رحله

---

(1)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 241 . وكذلك ينظر :الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 400.

(2)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص : 323.

(3)/ نفسه، ج1، ص : 323.

خرج إليه الإمام (4). فرمى عليه السؤال في مسائل الربا، حتى وقف في مسألة واحدة قال له: ارجع لئلاّ تطعمنا الربا، فرجع. فهذا أفلح رضي الله عنه خاف له والده أن يرتطم في الربا مع تفحصه في فنون العلم وإدراكه الغوامض (5)"[1].

1/ هذا الفعل يعود على الراوي أبي محمد عبد الله بن مانوج اللمائي.

2/ أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، الإمام الثالث للدولة الرستمية بعد والده وجدّه، طلب عليهما العلم في صباه بتيهرت، كان عالما في عصره ألف الكثير في مجالات عدة، حكم مدة طويلة قاربت 50 سنة (208-258هـ/823-871م)، توفي سنة 258هـ/871م[2].

3/ جوجو=كوكو=ڤاو، مدينة ومملكة بالسودان الأوسط جنوب تادمكت وتبعد عنها بتسع مراحل ترتبط بوارجلان عبر تادمكت وبسجلماسة عبر أودغشت خضعت في القرن 2هـ/8م لسلطة مملكة غانة وأصبحت في القرن 3هـ/9م مملكة مستقلة بل من أعظم ممالك السودان كما يقول اليعقوبي[3].

4/ كما يبدو من النص فقد أراد أفلح في عهد والده عبد الوهاب السفر إلى ڤاو على رأس وفد تجاري ضمن القوافل التجارية المنطلقة من العاصمة تاهرت، ولنا أن نتساءل : هل كان هدفه تجاري فقط أم له أهداف سياسية يريد تحقيقها في زيارة رسمية قادته إلى ڤاو؟ بطبيعة الحال لم يكن ابن الإمام ليقدم على هذه المغامرة في الصحاري الحقّا رمن أجل عمل تجاري بحت من الممكن أن يجعل له وكلاء ينوبون عنه، بل كان يسعى لتعزيز علاقات الدولة مع هذه المملكة، لكن رسوبه في الامتحان الشفوي أمام والده في مسائل تتعلق بالربا حال دون إتمام الرحلة، وهذا

---

(1)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص:327-328.

(2)/ ابن الصغير، مصدر سابق، ص : 49-59.

(3)/ ينظر : اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، 1960، ص: 193.وكذلك : الحسن بن أحمد المهلبي، المسالك و الممالك، جمع وتعليق : تيسير خلف، دمشق، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص : 55.و كذلك ينظر : ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص: 105-130.و كذلك : ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، نشر : كرم البستاني، بيروت، دار صادر، 1992، ص: 295.و كذلك ينظر:

- Tadeusz Lewicki , « l'état …… » , op.cit , p.513-535.

من تمام حرص الإمام عبد الوهاب على الكسب الحلال ومثل هذه الأخلاق كانت السبب في دخول السودانيين الإسلام على يد تجار الإباضية. وقد حقق أفلح أمنيته بعد وصوله سدة الحكم بإرساله لمحمد بن عرفة على رأس بعثة دبلوماسية[1] إلى ملك ڤاو لتعزيز العلاقات التجارية بين الطرفين، ولضمان استمرارية نشاط الطريق التجاري الرابط بين تاهرت وڤاو نظرا لتنامي قوة مملكة غانة وتهديدها لمصالح الدولة بمحاولة السيطرة على ڤاو وبالتالي الطرق الرابطة بين تاهرت إلى ڤاو عبر سجلماسة وأودغست، وكذلك طريق تاهرت إلى ڤاو عبر وارجلان وجبال الهقار وتادمكت[2].

النص الخامس : روايات أهل القصور وهي : قصطالية (1) ونفزاوة (2) من أهل الدعوة.

" أبو الربيع (3) عن أبي أفلح معبد بن أفلح رضي الله عنه (4) قال: إن خادما لأبي عبد الله محمد بن أبي عمرو التناوتي (5) رحمة الله عليهما،...قالت : يا سيدي لا ترع قد ولدت عندك صبية، وكان الشيخ واقفا على الباب يريد الدخول، وقد رفع إحدى رجليه ليدخل، فلما قالت له الخادم ذلك أمسك رجله في الهواء ولم يضعها، فقال لها : إن لك في حق يا خادمي فقد أخذته، قالت، يا سيدي لا بأس عليها صبية تبعت اثني عشر ذكرا، قال لها : ما فزعت مما تأكل ولكن فزعت من مآلها وما يصير أمرها إليه، والله ولي المتقين، فسماها زينب، فبلغت الصبية مبلغ النساء، تزوجت رجلا نفوسيا قنطاريا، قال : فسافر زوجها إلى غانة (6)، ثم جاء من سفره فكتب إليها..."[3].

1/ قصطالية=قسطيلية، مجموعة مدن وقرى في بلاد الجريد من مدنها : الحامة، توزر، تقيوس ومن قراها : نفطة، قنطرارة ودرجين[4].

---

(1)/ ينظر حول هذه السفارة : ابن الصغير، مصدر سابق، ص : 62.

(2)/ ينظر : بنعزوز فريدة، مقال سابق، ص : 453-464.و كذلك ينظر : صباح إبراهيم الشيخلي،" النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس عشر "، *تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر*، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984، ص : 29-46.

(3)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص : 331-333.

(4)/ ينظر : الإدريسي، مصدر سابق، ص : 277.و كذلك ينظر : مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سابق، ص: 155.

2/ نفزاوة سبق التعريف بها[1].

3/ الرّاوي في هذا النص هو أبو الربيع سليمان بن حسّان الوسياني.

4/ أبو أفلح معبد بن أفلح راو ومؤرخ وهبي لم تجتهد المصادر الوهبية في ترجمته وتحديد هويته وتفاصيل حياته، عاش في القرن 6هـ/12م، اعتمد عليه الوسياني كثيرا في رواية الأخبار[2].

5/ أبو عبد الله محمد بن أبي عمرو التناوتي النفزاوي، راو وهبي ربطه لوفيتسكي بشخصية أبي عبد الله محمد بن بامر أو تامر النفزاوي، ويرى أن بامر إنما جاء من النطق الأمازيغي باعمر وهو تحريف لأبي عمرو، عاش هذا الراوي في القرن 5هـ/11م[3].

6/ هذا الرجل الذي تزوج بنت الشيخ أبي عبد الله يظهر من اسمه أنه ينتمي إلى نفوسة ويسكن قنطنار = قنطرار وهي واحة تابعة لقصطالية، ربما يكون ممن هاجر من جبل نفوسة إليها[4] وقد سافر هذا الرجل إلى غانة بهدف التجارة ولذلك فقد ترك زوجته لدى أهلها إلى حين رجوعه وهو أمر لابد منه، في الحقيقة مراحل الطريق إلى غانة من قصطالية غير واضحة في النص، لكن المنطقة ترتبط بغانة عبر محورين : من قسطيلية إلى غانة يمر عبر وارجلان (14 يوم) إلى تادمكت (50 يوم) إلى قاو (9 أيام) ومنها إلى غانة (13 يوم) مرورا بسغمارة وتيرقي القريبة من تومبوكتو الحالية ورأس الماء[5] وبذلك تستغرق هذه الرحلة مدة 73 يوما في الذهاب ومثلها في العودة أي تقريبا خمسة أشهر ذهابا وإيابا دون احتساب أيام المكوث بغانة، كما يوجد محور آخر من

---

(1)/ يرجى العودة إلى الصفحة 35.

(2)/ مجموع السير، مصدر سابق،ج1، ص : 331.

(3)/ ينظر : أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج2، ص: 307. وكذلك : مجموع السير، المصدر السابق، ج 1، ص : 331. وكذلك : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص: 678-680.

(4)/ تم التعريف بقصطالية في الصفحة 50.

(5)/ البكري، مصدر سابق، مج2، ص : 368-370. وكذلك : الإدريسي، مصدر سابق ،ص: 296.و كذلك : بحاز إبراهيم، مرجع سابق، ص : 259.

وكذلك ينظر : - Lewicki , «l'état nord-Africain … » , op.cit , p.513-535.

وارجلان باتجاه سجلماسة ومنها إلى غانة عبر أودغست وتستغرق مسيرة 30 يوما[1]، والملاحظ أن كلا المحورين يمران عبر وارجلان لماذا ؟ يتعمد التجار الإباضية من بلاد الجريد التوجه نحو وارجلان بسبب سيطرة قبائل بني هلال على المحاور الشمالية الرابطة بين الجنوب التونسي والمغرب الأقصى[2].

النص السادس : روايات الشيخ أبي محمد عبد الله بن زورزتن الوسياني رحمه الله (1) :

" وذكر عن الغاية امرأة أبي القاسم رضي الله عنهما كانت في مجلس معها نسوة ونعي: إليها ابنها مات في غانة، قال فقامت فاغتسلت وصلت ركعتين ثم قالت للنسوة: انظرن إلى وجهي هل امتقع من صدمة الرزية عما عهدتن ؟ فقلن لها لا فحمدت الله على ذلك (2)"[3].

1/ أبو محمد عبد الله بن زورزتن الوسياني راوي وفقيه إباضي ينحدر من بني وسيان تتلمذ على يد أبي نوح سعيد بن زنغيل وأبي صالح اليهراسني، ترجم له الدرجيني ضمن علماء الطبقة التاسعة، عاش في النصف الأول من القرن 5هـ/11م[4].

2/ هذا النص ورد ضمن نصوص الفرسطائي (النص الثاني) وقد تمت مناقشته ضمن نصوص القرن 5هـ/11م[5] غير أن مكان وفاة ابن الغاية زوجة أبي القاسم بقي مبهما في رواية الفرسطائي، فقد حددت رواية الوسياني مكان الوفاة بغانة، وبتتبع نصوص الفرسطائي نفهم أن هذا الرجل توفي بعد والده المقتول زمن المعز الفاطمي وهذا جلي في قول أبو عمران لأبي جعفر"

---

(1)/ cf , Lewicki , *Études...* , op.cit , p.41-44.

(2)/ ينظر : عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت، دار الشروق، 1983، ص : 308.

(3)/ مجموع السير، مصدر سابق ج1، ص : 340-341.

(4)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 235. وكذلك :الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 395.وكذلك : الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص : 334.

(5)/ نفسه، ج2، ص : 299.

امض بنا إلى الغاية امرأة أبي القاسم نزورها"[1]، ثم جاءت الرواية عن وفاة ابنها بعدها مباشرة فلو كان أبوالقاسم حيّا لكان أولى بهذه الزيارة، وما يمكن استخلاصه من الرواية أن ابن الغاية توفي في رحلة تجارية نحو غانة في النصف الثاني من ق 4هـ/10م ولابد أن منطلق رحلته هذه كانت من بلاد الجريد موطنه إلى وارجلان ومنها إلى تادمكت ثم ڤاو ومنها إلى غانة وهي نفس مراحل الطريق الذي سلكه التاجر النفوسي في النص السابق والأرجح أن يكون سافر إلى غانة عبر سجلماسة انطلاقا من وارجلان.

النص السابع :

"وذكر (1) عن أبي محمد عبد الله بن محمد السدراتي (2) خال أبي محمد عبد الله بن محمد اللواتي [العاصمي] (3) قال : سافر خالي إلى القبلة (4)، فجعل تجارته صامتا (5) واشترى جملا لركوبه ومعه رجلا حضري فجاء الحضري إلى خالي فقال له : أي شيئ أجعل تجارتي؟ فقال له : لا أدري، فجعل الحضري تجارته رقيقا، فقفلوا إلى أهلهم، فكان أبو محمد لا تعب عليه ولا نصب، إذا ارتحل الناس ركب جمله، وإذا نزل ضرب خيمته ويستريح، وكان الحضري يتعب وينصب في الخدم والرقيق، هزلت هذه وجاعت هذه ومرضت هذه، وهربت هذه، وضرب العرق المدمر هذه فإذا نزلوا اشتغلوا في حوائجهم والحضري متعب مغتم وينظر في خلال ذلك إلى أبي محمد قاعدا في الظل وما له صرة في سره لا تعب معه، فيقول الحضري : سبحان الذي أراح عبد الله من هذا البلاء (6)"[2].

1/ يعني أبو الربيع الوسياني.

2/ أبو محمد عبد الله بن محمد السدراتي من علماء الوهبية، يبدو من تسميته أنه من سدراتة التابعة لوارجلان، كان يسافر إلى بلاد السودان للدعوة والتجارة عاش على الأرجح في النصف الأول من القرن 5هـ/11م[3].

---

(1)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج2، ص : 298.

(2)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص : 446-447.

(3)/ نفسه، ج1، ص : 446.

3/ أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي ولد في النصف الأول من القرن 5هـ/11م في برقة ثم انتقل إلى أريغ، واستقر في آجلو، توفي سنة 528هـ/1134م[1].

4/ القبلة تعني هنا بلاد السودان لكنها لم تحدد على وجه الدقة وبما أن التاجر أبو محمد عبد الله بن محمد السدراتي عاش بسدراتة فمن المرجح أن يكون المقصود من القبلة في هذه الرواية هو تادمكت.

5/ الصامت هو الذهب.

6/ تتضمن الرواية مقارنة بين نوعين من التجارة الصحراوية تجارة الذهب وتجارة الرقيق، فالأولى ليس فيها مشاق كثيرة، بينما الثانية فيها من المخاطر والتعب الكثير، وما يمكن استنتاجه من الرواية أن تجار وارجلان في النصف الأول من القرن 5هـ/11م كانوا يجلبون الذهب والرقيق من السودان الأوسط في قوافل تجارية كبيرة وهي سلع استراتيجية لعبت دور كبير في تنمية اقتصاديات دول المغرب.

02/ مؤلف مجهول (ق 6هـ/12م)، السيّر[2].

المعلومات عن هذا المؤلف قليلة جدا لا تتعدى كونه تتلمذ عند الشيوخ الثلاثة:"أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، أبو نوح صالح بن إبراهيم الزمريني، أبو الربيع الوسياني"، كتابه روايات نقلها عن شيوخه الثلاثة .أما عن نصوصه المتعلقة بالتجارة فهي:

النص الأول :

"ومنهم محمد بن رستم (1)، وذلك أن ولده عمران في غانة (2)، فقال لهم : أخّروا عشائي آكله مع عمران فلبثوا حتى مضى هدًوا من الليل ولم يجيئ عمران فخرج إلى صخرة السبع (3) فرقى

(1)/ Tadeus Lewicki , « Quelque extrait… » , op.cit , p.1-27.

(2)/مجموع السير، مصدر سابق،ج2، ص : 519-761. ويبدأ بقول المؤلف :" قال أبو عمرو[عثمان بن خليفة السوفي] ...".

عليها، فجعل ينادي : يا عمران فلم يجبه أحد فعجب الناس منه فرجع فلما جلس إذا عمران يدق الباب، فأكل عشاءه معه والحمد لله رب العالمين (4)"[1].

1/ المعلومات عن محمد بن رستم قليلة جدا، يبدو أنه عاش قبل النصف الثاني من القرن 5هـ/11م[2].

2/ صخرة السبع مكان خارج مدينة وارجلان على الأرجح يقع جنوب المدينة[3].

3/ غانة سبق تعريفها[4].

4/ الرواية تتضمن بين دفتيها نوع من الكرامة، وكأن محمد بن رستم أحس بقدوم ولده من غانة فبادر بارتقاء صخرة السبع والمناداة باسمه، وهذا شيء مألوف في الكتابة التاريخية الوهبية، وقد سجلت مثل هذه الملاحظة مع نصوص أبي زكرياء الوراجلاني، فمسألة الكرامة واتصالها بعالم معين في حد ذاتها شيئ لايمكن إثباته ولا نفيه، بينما الأسطورة المرافقة لها والموظفة لإضفاء الشرعية عليهيفنّدها كل عاقل لبعدها عن المنطق الإنساني . والفائدة من هذه الرواية أن عمران كان في القرن 5هـ/11م ممّن يمارس التجارة بين وارجلان وغانة وسبق أن تحدثنا على مراحل هذا الطريق فهي غير واضحة في الرواية لكنني أرجح أن تكون عبر سجلماسة.

النص الثاني: حكاية تملي الوسياني (1) :

" وذكر شيوخي الثلاثة أبو عمرو وأبو نوح وأبو الربيع رحمهم الله (2) أن رجلا من بني ويسين وكان مقلاّ في أول عمره، وهو من أهل القصور (3) فوقعت الشدة في باديتهم وسافر التجار بالتمر إلى البادية وسافر معهم تملي بمزود تمر على عاتقه وبعض قال: علاوة، وأبو نوح قال: وسادة، فمضوا حتى لقي القافلة رجل فاستطعمهم، فلم يعبؤوا به، ومرّ الرجل العافي حتى أدرك

---

(1)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص : 614.

(2)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 732-733.

(3)/Tadeusz Lewicki , « Quelques extraits… » , op.cit , p.1-27.

(4)/ينظر : الصفحة 31.

تملي آخر الناس ينوء بوسادته فاستطعمه فوضع له وفتح له فقال له: كل بغيتك، فأكل الرجل حتى شبع فدعا له بالنماء والبركة وقال له : إن أمامك ضعينة، قد أضر بهم الجوع ...، فإذا وجدت القافلة نازلة فامض أنت ولا تعرج عليهم، فربط علاوته ومضى حتى وجد القافلة نازلة، فنادوه من كل مكان : انزل يا تملي، انزل يا تملي فقال لهم : إني حامل على عاتقي وظهري، أتروح أمامكم قليلا، فمضى حتى وصل نعت الرجل، فوجد قوما جياّعا نياّعا، فجعل يبيع لهم، فأنمى الله ما في علاوته، فباع صاعا من تمر بصاع من مال كيلا من صامت (4)، وجعل يبيع ويأكل من أراد، يأخذ الكسور والصامت، حتى لم يجده المسافرون إلا أوقر حمل جمل، قال : فبورك له في كل شئ يحاوله، فجعل يسافر إلى تادمكت (5)، فبلغ بها مالا كثيرا بدعوة الرجل العافي، وما من له الله الكافي، فجعل يبعث من تادمكت كل سنة ستة عشر كيسا، كل كيس فيه خمسمائة دينار وكانت من جلود بقر (6)"[1].

1/ تملي الوسياني من شيوخ الوهبية بالقصور ببلاد الجريد التونسي كما يستفاد من الرواية، ينتمي إلى بني واسين، تتلمذ على يد أبي خزر يغلى بن زلتاف (ت 380هـ/990م)، عاش في النصف الثاني من القرن 4هـ/10م[2].

2/ الشيوخ الثلاثة أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي عاش في النصف الأول من القرن 6هـ/12م في واحة أسوف[3]، والثاني أبو نوح صالح بن إبراهيم بن يوسف الزمريني عاش على الأرجح في النصف الثاني من ق 6هـ/12م[4] عاصر أبو عمار عبد الكافي التناوتي[5]، والثالث أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني.

---

(1)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص : 550-552.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 550. وكذلك ينظر : الشماخي، مصدر سابق،ج2، ص : 602.

(3)/ ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج3، ص : 601-602.

(4)/ نفسه، مج3، ص : 470.

(5)/ نفسه، مج3، ص : 539-542.

3/ القصور كما وردت في رواية سابقة تشمل قصطالية، نفزاوة وكلها بالجريد التونسي[1].

4/ في الرواية نجد أن تملي الوسياني باع التمر بالذهب وزنا بوزن حيث باع صاعا تمر بصاع من صامت أي الذهب.

5/ تادمكت هي وجهة التّاجر تملي الذي كان يمارس التجارة في نهاية القرن 4هـ/10م انطلاقا من القصور، وهذا يعني أن الطّريق التجاري الذي ينطلق من القصور ويمر عبر وارجلان إلى تادمكت طريق نشط يصدّر عبره تجار بلاد المغرب التمور مقابل الذهب[2].

6/ لقد مثّلت تادمكت في هذه المرحلة مكان استقرار لتّجار المغرب وكان تملي ممن استقر بها وأصبح يبعث بأموال الزكاة لأهل الدعوة بالقصور، وفي الرواية كان يبعث في كل سنة 16 كيسا في كل واحد 500 دينار وبالتالي يكون مقدار زكاة أمواله 8000 دينار سنويا وبعملية حسابية نجد رأس ماله يقدر بـ : 320000 دينار، وقد خصص تملي أموال زكاته لأهل الدعوة لمساعدتهم على متطلبات الحياة، لكن بعض ما تتضمنه النصوص الإباضية من إحصائيات مبالغ فيها.

النص الثالث :

" وذكر الشيوخ أن أبا نوح سعيد بن يخلف (1) وقال أبو نوح : إنما هو أبوه يخلف بن تمصكويت المدوني (2) سافر إلى تادمكت حتى وصل تملي، فأدخله على بيوت ماله، فقال له: إن كنت تأخذ مال الله (يعني الزكاة أغنيك وعقبك) فقال له الشيخ : لا فقال له تملي: ما علمتني سخياً، فأعطاه دينارا فرجع الشيخ من عنده وقال يحدث عن بيت ماله : رأيت فيه الكيوس موسومة ما شبهتها إلا بالجراء وتراكم بعضها بعضًا ممتلئة كلها بالذهب مكتوب على كل كيس منها : "هذا مال الله". والحمد لله رب العالمين"[3].

---

(1)/ ترجى العودة إلى الصفحة50 . وينظر : مجموع السير، مصدر سابق، ج1، ص : 331.

(2)/ cf , Lewicki , *Études maghrebines* …, op.cit , p.28-40.

(3)/ مجموع السير، المصدر السابق، ج2، ص : 552.

1/ أبو نوح سعيد بن يخلف المدوني المزاتي من علماء الطبقة الثامنة (350-400هـ/961-1009م) عاش على الأرجح بأريغ وكان من العلماء والدعاة[1].

2/ يخلف بن تمصكويت المدوني والد أبو نوح عاش على الأرجح في النصف الثاني من ق 4هـ/10م، وسافر إلى تادمكت والتقى بتملي الوسياني ونقل لنا وصفًا لخزائن أمواله، وفي هذا النص تكملة للحديث عن التاجر تملي الوسياني وما بلغه من الثراء بتادمكت بما يمارسه من أنشطة تجارية على المحور الرابط بين القصور وتادمكت.

النص الرابع : روايات أبي نوح سعيد بن يخلف المدوني رحمهم الله (1).

" وذكر الشيخ أبو عمرو (2) عن الشيخ يخلفتن بن أيوب النفوسي المسناني (3) أن الشيخ أبا نوح الصغير (4) به يعرف عنده أربعون فرسا، وله فرس عتيق، وعليه حج وعليه سافر إلى تادمكت قيمته مائة وخمسون دينار (5)"[2].

1/ سبق التعريف به ضمن أعلام الرواية السابقة.

2/ الراوي هنا الشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي نقل الرواية عن الشيخ يخلفتن بن أيوب النفوسي المسناني[3].

3/ الشيخ يخلفتن بن أيوب النفوسي الزنزفي المسناني أصله من أمسنان من جبل نفوسة يعتبر من علماء الطبقة العاشرة (450-500هـ/1058-1106م) من الرواة الذين رووا عنه أبو عمرو السوفي[4].

4/ أبو نوح الصغير هو أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي المدوني السابق الذكر.

---

(1)/ ينظر : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 556 . وكذلك : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج3، ص: 385-386.

(2)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص : 553.

(3)/ تمت ترجمته في الصفحة 56.

(4)/ ينظر : معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، مج4، ص : 979-980.

5/ يظهر في الرواية قيمة الفرس كوسيلة نقل تستعمل في الرحلات ولاشك أنها تجارية دعوية، فقد اعتمد أبو نوح على فرسه القوي في رحلة الحج والرحلة التي قادته وبلغت قيمة هذا الفرس 150 دينارا، غير أن المبالغة تتضح هنا في سعر الفرس وذلك من أساطير النصوص الإباضية.

النص الخامس :

روايات أبي عمران موسى بن سدرين (1) وولده هارون الحاّمي الوسياني (2) :

" وذكر الشيخ أبو نوح (3) أن الشيخ أبا موسى هارون بن أبي عمران مّر على الشيخ أبي صالح (4)، فطلب أهل وارجلان أن يقعدوا حلقة تلاميذ فقالوا له : عن أمر الحلقة شديد، وحقوقها كثيرة وقالوا : لا نقوم بأمرها، وأتوه بمائة دينار، فأبى لهم من أخذها، وهو يريد السفر إلى غانة (5)، وكتب إليه أبو عبد الله أن يترك السفر ويدع الغربة...قال له : دع السفر إلى تلك الجهة، فماذا عبت على فلحون بن إسحاق (6) حتى مات فيها، فمر بنفعه وعلمه...فتوجه إلى تلك البلاد حتى وصلها، ثم خرج إلى غيارة (7)، فوجدهم غزاة (8)، فلزم بيته حتى مات فيها رحمة الله عليه"[1].

1/ أبو عمران موسى بن سدرين فقيه وراوي وهبي عاش عل الأرجح في النصف الأول من القرن 4هـ/10م في الحامة.

2/ أبو موسى هارون بن أبي عمران الحاّمي الوسياني عاش في القرن 4هـ/10م عاصر أبو صالح جنون بن يمريان[2].

3/ أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي.

---

(1)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص : 566-567.

(2)/ ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج4، ص : 923-924.

4/ أبو صالح جنون بن يمريان اليهراسني الوارجلاني من علماء الوهبية، عاش في النصف الأول من القرن 4هـ/10م بوارجلان[1].

5/ لما عزم أبو موسى هارون بن أبي عمرانالسفر إلى غانة مرّ بوارجلان على أبي صالح جنّون بن يمريان وهذا يعني أنه انطلق من الحامة إلى وارجلان ومنها إلى تادمكت ثم قاو ومن هذه المدينة إلى غانة واستقر به الأمر أخيرا بغياروا، لكن وبخلاف الروايات الأخرى يبدو أن أبا موسى خطّط من البداية على الاستقرار بغانة وهذا يجعلنا نرجّح أن يكون هدفه دعوي بغرض نشر الإسلام وترسيخه بين القبائل الوثنية بالمناطق الجنوبية من مملكة غانة ولم يكن يسعى لمباشرة أعمال تجارية بالمنطقة.

6/ فلحون بن إسحاق النفوسي فقيه وتاجر وهبي من بني واسين سافر إلى غانة قبل أبي موسى هارون بن أبي عمران بمدة وتوفي بها، عاش في النصف الأول من القرن 4هـ/10م يبدو أنه كان في مهمة دعوية هناك[2].

7/ غيارة=غياروا، وهي مدينة بالسودان الغربي تبعد عن غانة بمسيرة 18 يوما وتخضع لسلطة ملوكها، وصفها البكري بأنه يستخرج منها أفضل أنواع الذهب[3].

8/ وردت في هذه الرواية لفظة "غزاة"وقد وضع محقق المجموع في الهامش لفظة "عراة"وجدها في إحدى نسخ المخطوط[4] وتبدوا أنها اللفظة الصحيحة فالبكري في القرن 5هـ/11م يقول: " ومن أعمال غانة المنضافة إليها سامة يعرف أهلها بالبكم....وهم يمشون عراة"[5] وهذا يجعلنا نرجّح أن السبب الذي حمل الشيخ أبا موسى هارون بن أبي عمران على التزام البيت يتمثل في أن أهل غياروا كانوا يمشون عراة وبذلك بقي هناك إلى أن وافته المنية.

---

(1)/ معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج 2، ص : 232-233.

(2)/ ينظر : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 688.

(3)/ البكري، مصدر سابق، مج2، ص : 364. ينظر كذلك : الاستبصار، مصدر سايق، ص : 221-222.

(4)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص : 567.

(5)/ البكري، المصدر السابق، مج2، ص : 367.

النص السادس : روايات أصيل (1) :

" وذكر عنها أيضا أن عندها يتيمة تخدمها، ليس لها أحد، فلما كبرت جعلت تخطب لها فلم تجد أحدا، فتحيّرت من ذلك، فتكلم إليها فقال : ملكة في السماء السبع، شهدت الملائكة فنادوا بمومن بن وكيل (2)، وكان رجلا هو في ذلك الوقت في تادمكت "تملك دج أجنون ايستين أجين وانجلوسن أغرندس مومن أووكيل"، فانتظرت إلى قوله فجاء مومن بن وكيل فخطب غيرها فملكها فتحيرت من ذلك فقال لها : لا يمحو الكتاب كما لا يمحو كواكب السماء، انظري تراها يا أصيل فنظرت فرأت الكواكب كالليل بادية، فلم تلبث امرأة مومن بن وكيل أن ماتت، فتزوج يتيمة أصيل والحمد لله رب العالمين (3)"[1].

1/ أصيل عالمة وهبية أصلها من تمصمص موضع في الجزء الغربي من جبل نفوسة، عاشت على الأرجح في القرن 5هـ/11م، وكلمة أصيل في اللسان البربري تعني النعام[2].

2/ مومن بن وكيل، المعلومات عنه غائبة تماما خارج هذه الرواية، لكن يبدو أنه من تجار جبل نفوسة الذين يمارسون التجارة نحو تادمكت في القرن 5هـ/11م، ومن المرّجح أن هذا وغيره من تجار الجبل يمرون عبر محور غدامس إلى تادمكت وهو أقرب طريق يربط الجبل بتادمكت وهو الطريق المعروف بالطريق السوداني[3].

3/ مرة أخرى تظهر الكرامة في هذه الرواية على يد عالمة اهتمت بأمر يتيمتها و زوّجها بتاجر نفوسي وهو أمر عادي جدا في المصادر الوهبية في هذه الفترة.

---

(1)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص :640-641.

(2)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 485. وكذلك : ج3، ص : 891.

(3)/ صالح معيوف مفتاح، مرجع سابق، ص : 55.

النص السابع :

" وهذا الشيخ من تين بامر تناوتي (1)، سافر إلى غانة فلم يصلّ صلاة قطّ بغير ماء حتى رجع، وسافر إلى الحج و جاور فيها، حتى حج الأيام السبعة، وكتب منها ديوانا كبيرا، وهو الذي وضع كتاب الحضرمي "[1].

1/ يقصد به إسماعيل بن علي النفزاوي التناوتي، من تين بامر، سافر إلى غانة داعيا للإسلام وتاجرا، ألّف عدة كتب مهمة منها ما هو مذكور في الرواية، توفي على الأرجح نهاية القرن 5هـ/11م[2].

النص الثامن :

"وذكر أبو الربيع (1)، أن الشيخ فلحون بن إسحاق (2) من بني واسين جاءه سائل فقال له : كيف الرّد على من وصف الله بالجسم ؟ فقال له حين أراد أن يجعل رجله في القرز : يقال له لا يخلو هذا الجسم من أن يكون خفيفا سيارّا، أو كثيفا ستارا، فإن وصفه فليرد عليه من نفس قوله وذلك في سجلماسة يريد غانة (3)"[3].

1/ أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسّان الوسياني.

2/ الشيخ فلحون بن إسحاق سبق التعريف به[4].

3/ تلقّى الشيخ فلحون استفسارا عقديا من سائل غير محدد الهوية، يبدو أنه من الوهبية الذين استوطّنوا بسجلماسة، وكان الشيخ بصدد السفر إلى غانة، ولا أدري هل هي الرحلة الأخيرة التي قادته إلى غانة[5] وتوفي فيها، أم أنها إحدى رحلاته التجارية الأخرى، والمهم من الرواية أن تجار

(1)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص : 689.

(2)/ ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج2، ص : 112.

(3)/ مجموع السير، المصدر السابق، ج2، ص : 708.

(4)/ ينظر الصفحة 60.

(5)/ ينظر : مجموع السير، المصدر السابق، ج2، ص : 566-567.

الوهبيـة كـانوا يسـتعملون الطريـق الغـربي في رحلاتهـم التجاريـة خـلال القـرن 4هـ/10م والـذي ينطلـق مـن سجلماسـة إلى غانـة عـبر أودغشـت وهـو الطريـق الـذي رجّحـه لوفيتسـكي بأنـه طريـق التجـار الإباضيّين نحو غانة[1].

النص التاسع :

" وروى أبـو نـوح (1) أن رجـلا مـن زواغـة يقـال لـه محـرز بـن مـارات (2) يحـرث بثلاثمائـة جمـل غـير البقـر كثـير المـال مـترف، ولا يمشـي إلا ومائـة دينـار في جيبـه لـئلّا يـرى شـهوته فتفوتـه، فقعـد النسـاء يوما يغزلن عند امرأته وهي جالسة على سرير من عاج عظم الفيل (3)"[2].

1/ الوّلي هنا هو أبو نوح صالح بن إبراهيم بن يوسف الزمريني[3].

2/ المعلومـات عـن هـذاالشخصـية الغنيّـة جـدا لا تتعـدى محتـوى الروايـة، فالرجـل ينتمـي إلى زواغـة، كثير الأموال والعقارات، مترف، على الأرجح عاش خلال القرن 6هـ/12م.

3/ تتضـمن الروايـة بـين دفتّيهـا إحـدى السـلع المجلوبـة إلى بـلاد المغـرب مـن بـلاد السـودان وهـي عـاج الفيـل، فزوجـة محـرز بـن مـارات كمـا ورد في الروايـة كانـت جالسـة علـى سـرير مصـنوع مـن عـاج عظـم الفيـل، مـا يعـني أن زوجهـا بلـغ درجـة كبـيرة مـن الغـنى والرفـاه، وتـذكرنا هـذه الروايـة بقصـة دخـول أبي نـوح سـعيد بـن زنغيـل علـى المعـزّ لـدين الله الفـاطمي فوجـده جالسـا علـى سـرير قوائمـه عظـم الفيل[4].

---

(1)/ cf , Lewicki , *Études maghrebines*…, op.cit , p.41.

(2)/ مجموع السير، مصدر سابق، ج2، ص :750-750.

(3)/ ينظر ترجمته في الصفحة 56.

(4)/ ينظر : أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 208.

03/ أبو عمار عبد الكافي (ت قبل 570هـ/1175م)**السيّر**[1].

يعتبر أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب بن إسماعيل التناوتي من علماء القرن 6هـ/12م، صنّفه الدرجيني ضمن علماء الطبقة الثانية عشرة (550-600هـ/1155-1204م)[2]، عاش في وارجلان ثم ارتحل إلى تونس استكمالا لطلب العلم، وبعد مدة عاد إلى مسقط رأسه. يبدو أن العالم أبي عمار قد توفي قبل سنة 570هـ/1175م بمدة يسيرة فقد كان في مراسلات مع الفقيه عبد الوهاب بن محمد بن غالب بن نمير الأنصاري الذي راسله مستفسرا في مسائل عقدية أشكلت عليه وكان هذا الفقيه مقيما في غانة، ولم يرّد عليه أبي عمار لأسباب معينة حتى وافته المنية في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م ، ويقول عن ذلك أبو يعقوب الوارجلاني: "فامتنع أبي عمار من إجابته بعلل ومعان حتى توفي رحمه الله"[3] وتكّفل الشيخ أبو يعقوب الوارجلاني بالرد على هذه المسائل بعد وفاة الفقيه عبد الوهاب-الذي تلت وفاته وفاة أبي عمار- وشروع تلامذة أبي عمار في الإجابة عليها وهذا الأخير (الوارجلاني) توفي سنة 570هـ/1175م ما يعني أن الرّد الذي كتبه على مسائل عبد الوهاب كان قبل هذا التاريخ[4].

عدا هذه الرسالة ، فإن المعلومات عن التّجارة الصحراوية غائبة تماما في هذا الكتاب الذي يبدو أنه مخّصص لنظام الحلقة على شاكلة ما ألّفه المزاتي (ت 471هـ/1079م) والذي يحمل عنوان كتاب السّير، بحيث لم يتعد محيط الحلقة وآدابها ونابع من حِكم شيوخها المشاهير الذين ساهموا في بناء هذا النظام التعليمي الإجتماعي ما جعل الكتاب في منأى عن اقتصاديات الجماعة وأنشطتها التجارية والأمر نفسه ينطبق على سيّر أبي عمار.

---

(1)/ تح : مسعود مزهودي، دن، 1995.

(2)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 485-490. وكذلك : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 640.

(3)/ أبو يعقوب الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 77.

(4)/ ينظر ترجمته : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج 3، ص : 539-542.

04/ أبــو يعقــوب يوســف بــن إبــراهيم الــوارجلاني (ت 570هـ/1175م)، **الــدلّيل لأهــل العقــول لباغي السبيل بنور الدلّيل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدّق**[1] **.**

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن منّاد السدراتي الوارجلاني من شيوخ الإباضية المشهورين بالعلم والاجتهاد، صنفّه الدرجيني ضمن علماء الطبقة الثانية عشرة (550-600هـ/1155-1204م)[2]، يبدو من تسميته أنه من مواليد سدراته التابعة لواحة وارجلان. كغيره من أبناء المنطقة طلب العلم بمسقط رأسه وحج برفقة صديقه العالم أبي عمار عبد الكافي ثم اتجه نحو قرطبة لاستكمال تحصيل العلوم، كما كانت له رحلة قادته إلى مكان قريب من خط الاستواء[3]، توفي بوارجلان سنة 570هـ/1175م[4].

الآن سأناقش ما تضمنه كتاب الدليل من نصوص تؤرخ للعلاقات بين ضفتي الصحراء:

النص الأول :

" وكذلك أهل بلاد السودان الذين لم يبلغهم الإسلام إلا من بعد الخمسمائة سنة من الهجرة (1) ولم يعرفوا التفرقة بين المذاهب والأفراق (2)..."[5].

1/ يحدد أبو يعقوب فترة ما بعد القرن 5هـ/11م كإطار لأسلمة بلاد السودان، ولم يحّدد أية بلاد يقصد فعملية الأسلمة لم تتم بالوتيرة نفسها وفي كل مناطق السودان.

2/ إذا عطفنا الجملة الأخيرة على ما قبلها ندرك أن الإسلام المقصود هو التعرف على المذاهب والفرق العقدية والفقهية وبالتالي اتباع مذهب معين، وذلك حسب المؤلف لم يتسّن لأهل السودان إلا بعد القرن

---

(1)/ تح : الشيخ سالم بن حمد الحارثي، ط2، عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ، 2006 . حول هذا الكتاب ينظر : عبد الرحمان الجيلالي، "أبو يعقوب يوسف الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان "، *مجلة الأصالة*، 41 (1977)، ص:162-171.

(2)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 491-495.

(3)/ أبو يعقوب الوارجلاني، المصدر السابق، ج3، ص : 293.

(4)/ ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج4، ص : 1010-1014.

(5)/ أبو يعقوب الوارجلاني، المصدر السابق، ج1، ص : 25.

5هـ/11م، فهل يقصد المؤلف بالإسلام هنا "الإسلام على المذهب الإباضي"؟ أيّ أن المذهب الإباضي لم يعرف انتشارا ببلاد السودان إلا بعد القرن 5هـ/11م من المرّجح أن يصب كلامه في هذا الإتجاه.

النص الثاني :

"ففتح الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم...ومن المغرب مصر وإفريقية والأندلس وبعد الخمسمائة من الهجرة فتح الله عليه بلاد السودان جوجو وغانة إلى الجزائر الخالدات فهو ملك الأرض من فرغانة إلى غانة"[1].

مثل السابق يصب هذا النص في موضوع أسلمة بلاد السودان حيث يحدّد المؤلف الإطار الزماني لوصول الإسلام إلى بلاد السودان، فما بعد القرن 5هـ/11م يعدّ معلما تاريخيا لبلوغ الإسلام وتعاليمه بلاد السودان، وخص بالذكر كل من غانة وجوجو، لكن هناك جهود لا بأس بها لأسلمة بلاد السودان منذ القرن 3هـ/9م خاصة في مملكة قاو على يد فقهاء إفريقية المالكية[2]، كما أن مملكة غانة شهدت تسربا للإسلام بين حكامها ورعاياها منذ الثلث الثاني من القرن 5هـ/11م[3].

النص الثالث :

" فلنعقّب بالرّد على رسالة جاءتنا من ناحية غانة على يد رجل يسمى عبد الوهاب..."[4].

أصل الرسالة التي ردّ عليها العالم أبو يعقوب الوارجلاني في كتابه الدليل والبرهان وأفرد لها فصل خاص، كانت موجّهة إلى الفقيه أبي عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب بن إسماعيل التناوتي من قبل الفقيه عبد الوهاب بن محمد بن غالب بن نمير الأنصاري الذي كان مقيما في غانة، في الحقيقة لا توجد في الرسالة معلومات كثيرة عن الفقيه عبد الوهاب عدا إشارات تدل على أنه كان معاصرا للفقيهين أبي عمار وأبي يعقوب خلال القرن 6هـ/12م، ويبدو أن الفقيه عبد الوهاب كان على معرفة سابقة بالفقيه أبي عمار

---

(1)/ أبو يعقوب الوارجلاني، مصدر سابق ، ج1، ص : 38-39.

(2)/ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص : 98.

(3)/نفسه، ص : 103.

(4)/ أبو يعقوب الوارجلاني، المصدر السابق، ج1، ص : 77-100.

وإلا كيف راسله بالضبط بصفة مسترشد يطلب منه المساعدة منه في مسائل العقيدة، أما أبو يعقوب فلم يكن يعرف هذا الفقيه لقوله :"فلنعقب بالرد على رسالة جاءتنا من غانة على يد رجل يسمى عبد الوهاب"[1]، ومن الرّد كذلك يتضّح أن الفقيه عبد الوهاب توفي بعد وفاة العالم أبي عمار وقبل أن يجيب الوارجلاني على استفساراته ما يعني أن وفاته كانت في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م.

ويبدو من الرسالة أن الرجل من فقهاء الوهبية في تلك البلاد كان في مواجهة مع فقهاء السنة (الأشاعرة)، ما يعني أن المذهب الأشعري قد انتشر في هذه المنطقة، وأن هذا الفقيه يسعى لمعرفة عقيدتهم في بعض المسائل وكيفية الرد عليهم انطلاقا مما ينص عليه المذهب الإباضي الوهبي.

أما عن المسائل التي تضمنتها الرسالة " يسأله (أبي عمار) عن بعض مسائل السنية في الوعد والوعيد والنظر إلى الباري سبحانه وخلق القرآن "فهي تتناول قضايا في صلب الاعتقاد يبدو أن الفقيه عبد الوهاب تعرض لها في مناظرات مع مخالفيه من الأشاعرة، ولذلك ارتأى أن يراسل معارفه في وارجلان ممن نبغ في العقيدة علّه يسعفه بحجج يفحم بها خصومه ومخالفيه، والمتأمل فيها جيدا يدرك أن الفقيه عبد الوهاب في رسالته يعرض أفكاره ويقدم حلول لإشكاليات محتملة الوقوع ويجيب عنها، وكأنه يعرض إجاباته ليصّححها الشيخ أبي عمار ويقدم له آراؤه فيها، وقد استطرد الوارجلاني في التفصيل فيما طلبه الأنصاري من أبي عمار فكان الرد يفيض بالحجج والتفاصيل والأدلة[2]، وفي النهاية ختم عبد الوهاب رسالته بالقول:"ونرغب من سيدي الابتهال في الدعاء، أن يحسن الله خلاصي ويطلق سراحي من بلاد السودان.."[3]، فربما يكون هذا الفقيه من بين ضحايا توتر العلاقة بين مملكة غانة والسلطة الموحدية، فالإشارة تدل على أنه أسير في يد السلطة الغانية[4].

---

(1)/ أبو يعقوب الوارجلاني، مصدر سابق، ج1، ص : 76.

(2)/ ينظر حول هذه الرسالة : عبد الواحد العسري، " أجوبة مغربية عن إشكاليات عقدية وردت من بلادالسودان الغربي خلال ق 6هـ/12م"، *أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على ضفتي الصحراء*، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1999، ص : 465-479.

(3)/ أبو يعقوب الوارجلاني، المصدر السابق، ج1، ص : 100.

(4)/ شهد القرن 6هـ/12م توتر العلاقة بين الموحدين و مملكة غانة بعد أن قامت بالتضييق على دخول التجار المغاربة أسواق بلادها لاحتكار التجارة ينظر: عز الدين أحمد موسى، مرجع سابق، ص : 273.

النص الرابع :

" ومن غصب ما لا قيمة له كمن غصب ملحا في وارجلان فقدر على الغاصب في بلاد السودان استأديناه الملح أو قيمته هنا في هذا الموضع الذي قدرنا عليه فيه"[1].

يعالج المؤلف في هذا النص قضية فقهيةّ تتمثل في الغصب وأحكامه من الناحية الشرعية بتقديم مثال عّمن يأخذ الملح غصبا في وارجلان ويسترجع منه في بلاد السودان فيكون ذلك على أساس قيمة الملح هناك لا على قيمته بوارجلان.

النص الخامس :

"وأنا أحدثك بحديث غريب عجيب شاهدته ورأيته وسمعته بأذني وعاينته بعيني في جماعة من المسافرين من بني وارجلان وقصته : جبل كان بين كانم وبين أولاد كوار منتصب في دهسم من الأرض ونحن في قافلة زهاء ثلاثمائة رأس من الرقيق ينقص قليلا، فانتهينا إلى الجبل وتقدمت خادم من خدامنا عوان إلى الكبر، فإذا هي تخاطب الجبل، فأخذت خادما واحدة فقالت بلسانها ولغتها : (يا جبل هل هذه الخادم ترجع إلى بلدها ووطنها؟ أم تتلف فلا تعود إلى بلدها ووطنها أبدا؟) . فرد لها الجبل الجواب، ونحن نسمع الصوت ولا نفهم معناه وقد قرع أسماعنا بصداه . فإن كان جواب الجبل أنها تتلف ولا ترجع إلى وطنها أبدا ردتها الخادم الكبيرة وراء ظهرها وأخذت بيد خادم أخرى وخاطبت الجبل كأول مرة فيرد لها الجواب كأول مرة، فتردها وراء ظهرها كما فعلت بالأولى فما زالت تفعل بهن هكذا خادما بعد خادم إلى آخرهن خادما، فخاطبت الجبل فرد لها فرأينا الخدم أجمعين قد جرينا لها وطفقن يقبلنها ويعانقنها ويمسحن عليها، فسألناهن فقلنا لهن: (ما بال هذه الخادم من سائر الخدم ؟)، قلن : (إن هذا الجبل يقول : إنها سترجع إلى بلدها ولا تتلف أبدا)، والعجب كل العجب أن الرقيق كلهن يعرفن خطاب الجبل، لما تكلم بادرن بأجمعهن إلى الخادم يهنئنها ويقبلنها. فما زالت الأيام والليالي حتى وصلت إلى بلاد الإسلام إلى وارجلان فولدت من سيدها غلاما فربته وكبر الغلام حتى صار رجلا من الرجال فسافر إلى غانة ورجع وسافر ثم إنه مات فقالت

(1)/ أبو يعقوب الوارجلاني، مصدر سابق، ج3، ص : 103.

لسيدها :(إن ابني قد مات وأنت ليست لك بي حاجة فدعني أذهب إلى أهلي ووطني وبلادي) . فأذن لها ومرت وغابت عنا حتى أتانا كتابها من مقر أول حريم بلادها"[1].

أورد المؤلف ضمن كلامه عن الوحي وما يتعلق به قصة كان فيها حاضرا، حيث شارك في إحدى القوافل التجارية لجلب الرقيق من كانم إلى وارجلان[2]، وحكى ما رآه من تفنّن الإماء السودانيات أمام جبل يقع بين كوار وكانم من أجل معرفة مستقبل كل واحدة، وإمكانية عودتها لوطنها، وقد حالف الحظ واحدة منهن، فلما وصلت إلى وارجلان تزوّجت هناك، وأنجبت طفلا ثم صار رجلا يمارس التجارة بين وارجلان وغانة وتوفي بها وهذا خلال القرن 6هـ/12م، والمهم في القصة وجود طريق تجاري يربط وارجلان بكانم في السودان الأوسط لجلب العبيد من القبائل الوثنية، لذلك قال الوارجلاني عن وارجلان بلاد الإسلام، كما يتضّح من الرواية وجود تجار يتقنون اللغات المحلية السودانية، ومهما يكن فالنص مثال عن تغلب الأسطورة على النصوص الإباضية وتحكمها في تفاصيل الرواية وهذا يتضح في النص السابق.

04/ مقرين بن محمد البغطوري (حي سنة 599هـ/1203م)، **سيرة مشائخ جبل نفوسة**[3].

من علماء جبل نفوسة، أخذ العلم عن عبد الله المجدلي وتوفيق الجنّاوني، ألّف سيرة مشائخ جبل نفوسة، كان هذا العالم حيا سنة 599هـ/1203م[4]، خصّص البغطوري كتابه لذكر سير شيوخ جبل نفوسة وبهذا العمل يكون قد باشر كتابة بيوغرافيا محلية ما يجعلني أعتبره أول مؤرخ وهبي يكتب سيرة محلية تختص بمنطقة جغرافية معينة.

---

(1)/ أبو يعقوب الوارجلاني، مصدر سابق، ج3، ص : 282-283.

(2)/ cf , Lewicki , *Études maghrebines*.., op.cit , p.59-60.

(3)/ تح : توفيق عياد الشقروني، ليبيا، مؤسسة توالت الثقافية، 2009.

(4)/ ينظر : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 775.وكذلك : ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج4، ص:883-884.

أما عن نصوص البغطوري فهي :

النص الأول : أبو الربيع بن أبي هارون الجلالي (1) :

" وروي عنه أنه سعى وكسب مالا كثيرا وكان يسافر إلى تادمكت بالسودان وأنه كان إذا وقع في الشعبة بالشراء فيشتري فيها طالعا ونازلا ويمينا وشمالا فيصير فيها كالحصان الأجود (2)"[1].

1/ أبو الربيع بن أبي هارون الجلالي النفوسي فقيه وهبي عاش على الأرجح نهاية القرن 3هـ/9م بشروس، لأن والده أبا هارون الجلالي ممن حضر موقعة مانو[2]، اشتهر أبو الربيع برحلاته التجارية نحو تادمكت[3].

2/ يظهر في الرواية نشاط التاجر أبي الربيع في أسواق تادمكت، وربما هذا الأمر يمكن سحبه على كل تجار الجبل الذين يمارسون التجارة بهذه المراكز الصحراوية.

النص الثاني :

في الحديث عن أبي حسان بن أبي عامر :

" فقال ما تقول يا أبا هارون فيمن جلب الخدم من بلاد الشرك فتسّري واحدة منهن فأتت بأولاد سود مثل الزيتون، فهل يلزمه قال نعم، فضحك من ضحك في المجلس فقام أبو حسان وهو يقول الضحك في المجلس فقال أبو هارون للضاحك : حرمتنا الفوائد يا رجل"[4].

صادفتني في كتاب البغطوري مسألة فقهية تقدّم بها شخص يسمى أبا حسان من معاصري أبي هارون خلال القرن 3هـ/9م في جبل نفوسة، والمسألة تتعلق بنكاح الإماء السودانيات وهي ظاهرة عّمت المناطق التي عرفت انتشارا واسعا لتجارة الرقيق مثل جبل نفوسة مع السودان الأوسط، وهو الأمر الذي

---

(1)/ البغطوري، مصدر سابق، ص : 51.

(2)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 433-434.

(3)/ البغطوري، المصدر السابق، ص : 47.

(4)/ نفسه، ص : 39.

تحدث عنه اليعقوبي في القرن 3هـ/9م[1]، وقد رأينا ذلك آنفا مع قصة عبد الله بن الأمير في جربة، وعموما فالرواية توحي بأن العنصر السوداني الوافد أخذ مكانا لا بأس به في المجتمع الإباضي أصبح يأخذ حيّزا من الاستفسارات الفقهية.

النص الثالث :

" وروي عن أبي يحي (1) أنه سافر إلى بلاد السودان (2) فوجد مليكهم ناحل الجسم ضعيف فسأله لما صار حالك هكذا فقال :"عندنا هاهنا شيئ إذا نزل ببعضنا ذهب به وأزاله " قال أبو يحي فأخبرته عن الله عز وجل وصفة الجنة وثوابها لمن أطاع الله وأخبرته عن النار وعقابها لمن عصي الله فقال لي كذبت لو كان عندك يقين بما تصف لم تأت إلى هنا لطلب الدنيا فمازلت أحاوله وأذكر له الله ونعمائه وأرغبه في الإسلام حتى أسلم وحسن إسلامه (3)"[2].

1/ أبو يحي بن أبي القاسم الفرسطائي النفوسي عاش أواخر القرن 3هـ/9م، فوالده أبو القاسم كان من ضحايا معركة مانو سنة 283هـ/896م[3]، من شيوخه بشروس أبي هارون الجلالمي[4].

2/ اشتهر أبو يحي بأسفاره إلى بلاد السودان، وأسلم على يديه أحد ملوكها، وعلى الرغم من عدم تحديد اسم هذه المملكة، فمن المرجح أن تكون مملكة قاو فقد أشرت سابقا إلى أن الإسلام تسرب إليها منذ القرن 3هـ/9م، ولا يستبعد أن يكون قد وصل إلى أهل المملكة بعد اسلام الملك على يد أبي يحي.

3/ يبدو أن خوف ملك السودان من الموت هو الظرف الذي ساعد أبو يحي على دعوته إلى الإسلام وترغيبه فيه، ويتضح من الرواية أن أبا يحي يتقن لغة هذه المملكة فلم يذكر أنه استعمل ترجمانا في حواره مع الملك، وهذا النص مثال على بلوغ فقهاء الإباضية إلى قصور الملوك

---

(1)/ اليعقوبي، البلدان، مصدر سابق، ص : 98.

(2)/ البغطوري، مصدر سابق، ص : 65.

(3)/ ينظر : الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 433-434.

(4)/ البغطوري، المصدر السابق، ص : 64.

السودانيين ومحاورتهم ودعوتهم للإسلام كما يستخلص من الحوار الذي جمعه والملك أنه كان تاجرا بتلك البلاد.

النص الرابع :

"وذكر عن الشيخ أبي عمرو (1) وكان حاكما وكان شديدا في الأمر والنهي سمع بمجلس الخمر في الفحص (2) بجامع خلف وهو على ستة أميال من شروس فمضى اليهم فصادفهم في ذلك فكسره لهم. وروي عنه أنه حين كان قائما بالأمور سار من عنده أهل تكرور يريدون الحج (3) فأعطوه أربعمائة دينار فأبى أن يأخذها...(3)"[1].

1/ أبو عمرو ميمون بن محمد الشروسي التندميرتي النفوسي من أعلام وعلماء الجبل، عاش خلال النصف الثاني من القرن 4هـ/10م، تولى الحكم بالجبل بعد أبي سليمان التندمرتي، وهو الذي قال عنه : "...هذا الذي طرح الحمل عن ظهره فحملته أنا"[2].

02/ الفحص مكان يبعد على شروس بستة أميال.

03/ يبدو أن شروس كانت من بين محطات طريق الحج لأهل تكرور، وبالتالي يكون طريق الحج ينطلق من تكرور إلى غانة إلى قاو ومنها إلى تادمكت ثم غدامس ومنها إلى جبل نفوسة ومنها إلى المشرق.

النص الخامس :

" وذكروا عن غزالة الآمة (1) كان أهلها في بلاد الشرك وقالوا عنها أنها إذا أكلت الدم لما كانت في بلادها قبل أن تسلم تتقياه .ولما جلبها مشتريها ربطها ليلا في سلسلة مع الخدم فاذا سمعت قراءة القرآن في الرفقة قعدت على نفسها وبركت على ركبتيها وجعلت تسمع وأسلمت واشتراها رجل من أهل ويغو فصارت تخدم مولاها بالنهار وتجتهد في العبادة بالليل وكان حالها إذا نومت مواليها تسري في الليل فتحضر مجلس الذكر عند أبي محمد عبد الله بن الخير في تنوزويرف ثم ترجع فتحيي ليلتها في كهف لها في وادي الزبر فتجد

---

(1)/ البغطوري، مصدر سابق، ص : 87.

(2)/ نفسه، ص : 87. وكذلك ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج4، ص : 909.

فيه مصباحين قدُوقِ دا لها في كهفها فتتعبد إلى آخر الليل فتأتي المنزل فتوقظ مواليها لصلاة الصبح فكان حالها كذلك ما شاء الله من الزمان .ولما نظر إليها مولاها فرأى ما بها من التعب اعتقها فتمادت على ما هي عليه من العبادة وبعد عتقها لاتجد في كهفها إلا مصباحا واحدا (2)"[1].

1/ جاء الحديث عن هذه الآمة في ترجمة أبي ذر أبان بن وسيم الويغوي النفوسي الذي عاش بجبل نفوسة خلال النصف الأول من القرن 3هـ/9م وبالتالي تكون هذه الآمة قد عاشت بويغو إحدى مدن جبل نفوسة خلال الفترة نفسها وهي المرأة التي تزوجها أبو عامر التصراري ويبدو أنها جلبت من القبائل الوثنية بالسودان الأوسط[2].

2/ القصة وقعت خلال القرن 3هـ/9م، والمغزى من هذه الرواية أن تجار جبل نفوسة كانوا يتاجرون في الإماء السودانيات للعمل في البيوت ولا ندري من أين يتم جلبهم بالضبط ولكنني أرجح أن يكون ذلك من كانم فقد ارتبطت بالجبل بعلاقات تجارية خاصة تجارة العبيد كما رأينا ذلك مع اليعقوبي[3].

V. القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي :

يتّمـز القـرن 6هـ/12م بعـدد مؤلفـات وهبيـة لا بـأس بهـا مـن حيـث الكـّم وغـزارة المـادة الخبريـة المتعلقـة بأخبـار الجماعـة وسـير علمائهـا، وكانـت سـيرة أبي زكريـاء الـوارجلاني قاعـدة وركيـزة لمـن جـاء بعـدفي التّـأليف، مـع حشـد روايـات أخـرى لم يوفرّهـا المحـيط الـذي عـاش في أحضـانه هـذا المؤرخ وتوظيفهـا لسـد ثغـرات تـاريخ الجماعـة، والغـزارة الـتي أتحـدث عنهـا لم تشـمل الأخبـار السياسـية فقـط بـل غزيـرة كـذلك فيمـا يتعلـق بالجانـب الاقتصـادي، فـالرحلات التجاريـة وحـتى الدعويـة الـتي نظّمهـا تجـار وعلمـاء وهبيـون انطلاقـا مـن عـدة مراكـز مغربيـة إباضـية تظهـر بصـورة واضـحة في نصـوص كثـيرة تضـمنتها مؤلفـات هـذا القـرن، غـير أن ذلـك لم يسـتمر للقـرن المـوالي أي القـرن 7هـ/13م فلم أعثر إلاّ على مؤلف واحد وهو طبقات الدرجيني.

---

(1)/ البغطوري، مصدر سابق، ص : 97-98.

(2)/ نفسه، ص :87.وكذلك ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج 2، ص : 08-10.

(3)/ اليعقوبي، البلدان، مصدر سابق، ص : 98.

أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت 670هـ/1272م)، **طبقات المشائخ بالمغرب**[1].

أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني من علماء الوهبية أصله من تيمجار بجبل نفوسة وعاش في درجين ببلاد الجريد، من شيوخه أبي سهل يحي بن إبراهيم بن سليمان درس على يديه بوارجلان، امتاز بالعلم والأدب، أول من كتب فن الطبقات عند الإباضية، توفي سنة 670هـ/1272م[2].

خالف الدرجيني أسلافه في طريقة التأريخ لأخبار الوهبية وسير أعلامها، فقد عمد إلى تقسيم كتابه إلى جزءين: الأول كتاب تاريخي بينما الثاني كتاب بيوغرافي أو الطبقات كما سماها، وقد جعل كل خمسين سنة طبقة وأغفل الحديث عن الطبقة الأولى إذ تغني شهرتهم الحديث عنهم وعن تفاصيل حياتهم، ضمّ كتاب الدرجيني 12 طبقة أي أنه توقف عند سنة 600هـ/1204م.

لم يغفل الدّرجيني المصادر التي سبقته، فقد حاول الاستفادة منها قدر الإمكان وتوظيفها في الطبقات خاصة سيرة أبي زكرياء، وفي هذا الجانب يقول محقق السّيرة : " لقد اجتهد الدرجيني في صهر كتاب السّيرة وأخبار الأئمة في طبقاته ..."[3]، وهذا يتضح في الجزء الأول فهو نقل واضح لسيرة أبي زكرياء حتى أن الأسلوب واللغة نادرا ما يتغير ويصبح من الصعب التمييز بين الكتابين.

---

(1)/ مصدر سبق ذكره .من بين الدراسات حول الدرجيني : الحبيب الجنحاني، "كتاب طبقات المشائخ بالمغرب لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني "، *حوليات الجامعة التونسية*، 15 (1977)، ص :161-177.

(2)/ ينظر : الشماخي، مصدر سابق، ج3، ص : 958-959.وكذلك : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج2، ص : 89-90.

(3)/ أبو زكرياء الوارجلاني، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، ص : 13.

أما نصوص الدرجيني وإشاراته المتعلقة بالتجارة الصحراوية فسأناقشها على النحو التالي :

النص الأول :

"فلما دخل عليه وجده في قبة حمراء على سرير قوائمه من عاج أحمر ..."[1].

يتضح أن الدرجيني نقل هذا النص من سير أبي زكرياء إذ أورده في حديثه عن أبي نوح سعيد بن زنغيل لما استدعاه أبي تميم لقصره للتحقيق معه في شأن ثورة الإباضية في باغاي، وقد تم مناقشة هذا النص ضمن نصوص القرن 5هـ/11م، والجديد في رواية الدرجيني أن العاج الذي صنع منه سرير أبي تميم كان عاجا أحمر أما عند الوارجلاني فقد وردت بصيغة "عظم الفيل".

النص الثاني :

" قال أبو نوح فأرسل إلي يوما من الأيام فلما دخلت وسلمت عليه ووقفت بين يديه قال لي أين صاحبك يغلى ؟ قلت لا أدري فقال لو كان صاحبك في غانة لجاءت به دراهمنا"[2].

تغيير لغوي بسيط في الرواية عند الوارجلاني " لجابته " وعند الدرجيني "لجاءت به".

النص الثالث :

" ...وأنه قد أراد السفر إلى جوجو فسأله أبوه رضي الله عنه عن مسائل الربا فتوقف في مسألة واحدة لم يجب عنها ولم يعرفها، فأمره أبوه بالرجوع عن السفر فقال له أقم لئلا تدخل علينا الربا فرجع بعد أن تجهز وأبرز رحله، وهذا على ما هو عليه من التناهي في العلم خشي أبوه أن يرتطم في الشبهات...."[3].

---

(1)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص : 133.

(2)/ نفسه، ج1، ص : 135.

(3)/ نفسه ، ج2، ص : 320.

هـذا الـنص يتوافـق مـع الـنص الرابـع مـن نصـوص الوسـياني، وعلـى الـرغم مـن الإخـتلاف الواضـح في صـياغة كـل منهمـا، فـالمغزى منهمـا أن سـبب إلغـاء أفلـح بـن عبـد الوهـاب لرحلتـه نحـو جوجـو هـو رسـوبه في امتحـان حـول البيـوع ومسـائل الربـا أمـام والـده عبـد الوهـاب، وكـلا الـروايتين تصـبان في اتجـاه واحـد وهـو حـرص الأئمـة الرسـتميين علـى الكسـب الحـلال وتحـري الصـدق في ذلـك، ولا بـد أن هـذا الحـرص وأخـلاق حميـدة أخـرى تميـز بهـا التجـار الإباضـيين سـاهمت في ترغيـب السودانيين في الإسلام وشرائعه.

النص الرابع :

" وروي أن المعـّز أمـير القـيروان أهـدى سـيفا لمشـائخ الجبـل يريـد تشـتيت أمـرهم واخـتلافهم.....فلمـا وردت علـيهم هديـة عـدو الله اختلفـوا.....فقـال بعضـهم ردوه.....قيـل وقـال آخـرون امسـكوه فـإن عطايـا الملـوك جـائزة لمـن يأخـذها مـا لم يلامـس أمـورهم الفاسـدة.....قيـل وأصـيب مـن أدلى بهـذا الـرأي في بصـره لمـا جـاءهم مـن الفتيـا بمـا لم يعهـدوا العمـل بـه فقـال ابـن مـاطوس الحمـد لله في أن جـازاه في أن جعـل لـه عقوبـة ذلـك في بدنـه.....قيـل والمصـاب ببصـره هـو أبـو معـروف....قيـل ولمـا أصـيب أبـو معـروف ببصـره وجّـه كتابـا إلى الشـيخ عبـد الحميـد الفلّـيّ، وكـان عالمـا كبـيرا مـن أهـل الـدعوة وكـان قاطنـا ببلـد السـودان يسـتمد منـه دواء العـين، فلمـا ورد عليـه كتابـه قـال : عجبـا لهـذا الشيخ أعطاه الله دواء لداء الذنوب وهو يسأل ما يزيله عنه"[1].

هـذا الـنص يتوافـق مـع الـنص الأّول للوسـياني، حـول أبي معـروف ويـدّرن بـن جـواد، ويبقـى الإخـتلاف الوحيـد بينهمـا أن الوسـياني ذكـر في الروايـة أن أمـير القـيروان الـذي أرسـل الهديـة هـو المعـّز بـن بـاديس وهـذا مـا يتنـاقض مـع محتـوى الروايـة فـأبو معـروف عـاش خـلال القـرن 3هـ/9م بينمـا المعـّز توفي بداية النصف الثاني من القرن 5هـ/11م.

(1)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 326-327.

النص الخامس :

" وذكروا أن أبا نوح كان له أربعون فرسا وكان يصطفي منها فرسا عتيقا كانت تبذل فيه الأثمان الجليلة والأموال الجزيلة فيضن به، ولا يسمح بخروجه عن ملكه لما خبر من صبره وشدة أسره...حتى وصل به إلى بلاد المشرق فقضى عليه فريضة الحج وعليه سافر إلى تادمكت"[1].

هذا النص يتوافق مع النص الرابع من نصوص المؤلف المجهول ويبدو أن الدرجيني قد تخلى عن بعض تفاصيل القصة مثل ثمن الفرس الذي سافر عليه للحج وإلى تادمكت فقد ذكره الوسياني بقيمة مائة وخمسين دينار وهذا لقوة الفرس وصبره في الأسفار.

النص السادس : أبو صالح الياجراني :

" ومما يحكى من الأخبار ...ما ذكر أنه جلب من إبله أبعرة إلى وارجلان للبيع فاشترى وارجلاني منها بعيرا فلما أراد أن ينقده الثمن قال له : ثمن جملك بتادمكت وكان له جمل أراد المسير عليه فقال له رجل من أهل وارجلان أتحمل لي على جملك هذا حمل متاع إلى تادمكت فتبيعه لي هناك؟ فقال بكم أبيع حملك؟ فقال بكذا وكذا، وكان بعدد سماه له فلما وصل تادمكت وسوق تلك الوديعة نقص من العدد الذي سمى شيئ يسير قيل قدر ثلاثة أرباع قيراط فقال لا يمكن البيع بدون ما سمى لي فرجع بالحمل إلى وارجلان، قالوا لم ير حمل رجع من تادمكت إلى وارجلان غيره...."[2].

هذا النص يتوافق مع النصّ الثالث من نصوص الفرسطائي و قد تمت مناقشته ضمن نصوص القرن 5هـ/11م.

---

(1)/ الدرجيني، مصدر سابق ، ج2، ص : 367.

(2)/ نفسه ، ج2، ص : 374-375.

النص السابع :

قصة علي بن يعقوب :

" ...فعزمت على التوجه إلى ناحية بلادنا فسلكت على نفزاوة ثم على تقيوس ثم قال وقد اشتريت كساء طاقيا من نفزاوة فلما صرنا في السبخة التي بين نفزاوة وتقيوس من طريق بشري وتوسطنا السبخة واجهتنا خيل لا نستطيع الهروب منها فقصدناها وقصدتنا وأنا في ذلك أردد الأية التي علمنيها الجني...قال فكانت معي تلك الحصيات فوصلت إلى تادمكت"[1].

هذا النص يتوافق مع النص الثالث من نصوص الوارجلاني ويتحدث عن سفر علي بن يعقوب إلى طرابلس ومنها إلى جبل نفوسة ومن هذه الأخيرة إلى تادمكت وكلا النصين يتضمنان التفاصيل نفسها والإختلاف الوحيد أن علي بن يعقوب في نص الدرجيني ذكر أنه لما خرج من جبل نفوسة اتجه نحو بلده الذي انطلق منه وهو أريغ كما ذكرت آنفا وكذلك الكسوة التي اشتراها من جبل نفوسة وردت لدى الدرجيني باسم "كساء طاقيا" بينما عند الوارجلاني كساة أنطاكية وقد أشار المحقق في الهامش إلى كلمة أنطاكية وهو الأرجح.

النص الثامن :

" وكان عبد الله بن الأمير من آمة سوداء وكان ذلك غالبا على لونه فذكر عنه أنه صحب في بعض تقلباته شيخا يعرف بعوّن فلما كان في الطريق أراد عوّن تكليف أبا محمد أحد الكلفات الكبار المستثقلة فلم يساعده فقال عزون معرضا لسواده لو كان العبد من دياج لكانت أطرافه من تليس..."[2].

هذا النص وجدت عنه إشارة لدى الفرسطائي (النص الأول) ونص مشابه عند الوسياني (النص الثالث) وأخذه الدرجيني مشافهة عن والده.

---

(1)/ الدرجيني، مصدر سابق ، ج2، ص : 378-381.

(2)/ نفسه ، ج2، ص : 414-415.

النص التاسع : في ترجمة أبي يحي زكرياء اليراسني :

" سمعت من غير واحد من المشائخ حكايات في مناقب الشيخ أبي يحي زكرياء بن صالح...فمن ذلك ما سمعته مرارا عن أبي رحمه الله قال : وصل الشيخ أبو زكرياء ذات مرة من سجلماسة إلى وارجلان ثم خرج إلى وارجلان متوجها إلى جربة في جماعة من أصحابه ومعهم قريب من مائتين وخمسين مثقالا ذهبا تبرا..."[1].

هذا النص كذلك يدعّم الرأي السابق الذي أشرت إليه والمتمثل في أن الطريق الغربي كان يستهوي تجار الإباضية خاصة من بلاد الجريد وجزيرة جربة عبر واحة وارجلان فالشيخ أبو يحي زكرياء الذي ترجم له الدرجيني ضمن علماء الطبقة الثانية عشرة 550-600هـ/1155-1204م، كما يتضّح من القصة كان تاجرا في الذهب بين غانة وجربة وربما ليصدّره إلى أوروبا عبر هذه الجزيرة.

النص العاشر : في ترجمة علي بن يخلف :

".وحدّث جماعة من أصحابنا أن علي بن يخلف سافر إلى غانة سنة خمسة وسبعين وخمسمائة فانتهى إلى مدينة مالي فأكرمه ملكها غاية الإكرام، وكان هذا الملك مشركا وتحته مملكة عظيمة كل أهلها مشركون وتحته اثنا عشر معدنا يستخرج منها الذهب التبر، فكان الملك قلّما جلس مجلسا إلا أجلسه معه إكراما له وكان يتعجب من خُلقه وخلقه وكثرة عبادته ومحافظته على دينه حتى عقد النية على الإنفصال وقد قضى حاجته، وكان ذلك في سنة قحط شديد فشكت الرعية ما أصابهم إلى ملكهم فأمرهم بالاستسقاء فجعلوا يستسقون ويتقربون بقرباتهم التي يعتادونها في ملتهم، وذبحوا أنواع الحيوان من البقر والغنم والحمير حتى الأناسي والسنانير فلم يسقوا فقال الملك: لعلي ألا تدعو إلاهك الذي تعبد أن يسقينا؟ فقال له لا يسعني ذلك وأنتم تكفرون به وتعصونه وتعبدون غيره، فإن آمنتم به وأطعتموه فعلت ذلك ورجوت أن يسقيكم، فقال له الملك علمني الإسلام وفرائضه حتى أتابعك عليه وتستقي لنا...ثم قال اصحبني إلى نهر النيل ففعل فعلمه كيف يتطهر فتطهر ولبس ثيابا طاهرة ورقى بها ربوة فوق النيل فعلمه الصلاة

(1)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 502.

فصلى، ثم قال إن أنا صليت فافعل ما تراني أفعل وإذا دعوت فقل آمين، فباتا ليلتهما في عبادتهما وضراعة إلى الله عز وجل فلما كان بعد صلاة الصبح أنشأ الله سبحانه سحابة، فما حاولا الانحدار من الربوة حتى حالت السيول بينهما وبين المدينة، فجاءهما زورق من النيل فركبا حتى دخلا المدينة، ودامت السحابة سبعاً غير مقلعة تسيح ليلا ونهلواً فزادت المؤمن إيماناً واستدعت إيمان الكافر، فلما رأى الملك صنع الله تعالى دعا جميع أهل بيته للإسلام فأجابوا ثم دعا أهل المدينة فقالوا نحن عبيدك فأجابوا، ثم دعا من دنا من المدينة حتى رعيته فأجابت أكثرهم ثم دعا الأقصين فقالوا نحن عبيدك ولك منا الطاعة وتتركنا على ما ألفينا عليه آباؤنا فسمح لهم، ثم حكم بأن المدينة لا يدخلها إلا من آمن بالله ورسوله ومتى رؤى فيها كافر قتل، ثم قال له علمني القرآن وشرائع الإسلام فجعل يعلمه حتى تعلم جملة ينتفع بها، فبينما هو عنده في ذلك إذ ورد عليه كتاب أبيه يستدعي منه المجيء ويحجر عليه في الإقامة، فقال للملك اعلم أني على السفر، فقال لا يحل لك أن تتركنا نعود إلى العمى بعد أن أبصرتنا دين الهدى، فقال اعلم أن في فرائض هذا الدين إبرار الوالدين، وقد حجّر علّي والدي المقام وهذا كتابه فلما رأى جده أحسن منقلبه وانفصل وبقوا على الإسلام والحمد لله رب العالمين"[1].

في هذه الرواية الطويلة ينسب الدرجيني قضية دخول ملك غانة الإسلام إلى علي بن يخلف جد والده سعيد فهو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف وجعل من سنة 575هـ/1179م تاريخ وقوع القصة، فمن الناحية الزمنية لا أستبعد أن يكون جد والده عاش في الربع الأخير من القرن 6هـ/12م، لكن توفر قصة مشابهة عند الجغرافي الأندلسي البكري (ت 487هـ/1094م) في كتابه المسالك والممالك فهو يقول عن أسلمة ملك غانة :

" عرف ملك مالي بالمسلماني، لأن بلاده أجدبت عاماً بعد عام، فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها، وكان عندهم ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة، فشكا إليه الملك ما دهمهم من ذلك، فقال له أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام، وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الإسلام كلها، لوجدت لك الفرج مما أنت فيه وحّل بك، وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك، فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته، واقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه، وعلمه من الفرائض والسنن ما لا يسمح بجهله، ثم (أمهله) إلى ليلة جمعة، فأمره فتطهر فيها

(1)/ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص : 517-518.

طهراً سابقاً، وألبسه المسلم ثوب قطن كان عنده، وبرز إلى ربوة من الأرض، فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه، يأتم به، فصليا من الليل ما شاء الله، والمسلم يدعو والملك يؤمن، فما انفرج الصباح إلا والله قد أعمهم بالسقي، فأمر الملك بكسر الدّكاكير أي الأصنام وأخرج السحرة من بلاده، وصح إسلام عقبه وخاصته، وأهل مملكته، مشركين فسموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني"[1].

بعد استعراض النصّين يظهر أن سيناريو إسلام الملك عند البكري هو نفسه عند الدرجيني فكلا الروايتين تتفقان على أن سبب دعوة الرجل المسلم الملك لدخول الإسلام هو القحط والجفاف الشديد الذي أصاب مملكته، لكن البكري يقول أن الملك المقصود بعملية الأسلمة هو ملك ملل وهذا يتناقض مع الدرجيني الذي يقول بأنه ملك غانة، وقد تحدّث البكري عن ملل ضمن أعمال غانة والمدن التابعة لها، والمتأمل جيدا في روايته يلاحظ أن ملل كانت في المرحلة التي تحدث فيها البكري عن مملكة غانة (460هـ/1068م) إمارة صغيرة مستقلة تابعة لأملاك غانة[2]، فمالي المملكة لم تظهر بقّوسوى في القرن 7هـ/13م، ومن الناحية الزمنية فنص البكري يناقض نص الدرجيني فبين النصين أكثر من قرن من الزمان وسيناريو القصتين لم يتغيّر، فهل هناك ملكين أسلما بالأسباب نفسها أحدهما خلال القرن 5هـ/11م والآخر في القرن 6هـ/12م؟ هذا مستبعد الحدوث كما أن البكري في روايته لم يخبرنا عن مذهب الفقيه هل هو إباضي أم لا؟ وما يمكن قوله في هذه الحادثة أن الملك أسلم على يد أحد فقهاء الإباضية خلال القرن 5هـ/11م وباعتبار ملل من المدن التابعة لغانة فقد وردت عند الدرجيني بأن الملك الذي أسلم هو ملك غانة وبما أن الفقيه الذي أسلم الملك على يديه إباضي والرواية كانت تنتقل بين مواطن الإباضية فقد تبناها الدرجيني وادعى أن جد والده الذي اشتهر برحلاته إلى غانة هو الذي أسلم الملك على يديه مستغلا غياب اسم ذلك الفقيه، ومع رواية الشماخي سنوضح القضية بما ينبغي لها من التوضيح.

(1)/ البكري، مصدر سابق، مج2، ص : 366-367.

(2)/ ينظر حول مالي :ابن بطوطة، مصدر سابق، ص: 628.

VI. القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي :

كان القرن 7هـ/13م بالنسبة للكتابة التاريخية الوهبية قرن التكرار وإعادة نسخ ما كتبه الأولون، سواء ما تعلق بالأخبار المحلية للجماعة الوهبية أو علاقة أفرادها التجارية مع ممالك الجنوب، وعلى الرغم من أن الدرجيني أبدع فنا خاصا به وهو فن الطبقات، فإنه لم يضف لطبقات ما قبل القرن 7هـ/13م شيئا جديدا ولم يجهد نفسه في استقصاء أخبار الجماعة الوهبية ودورها التجاري-الدّعوي فيما وراء الصحراء، واكتفى بنقل نصوص من سبقه خاصة الوارجلاني، الفرسطائي، والوسياني دون أن ينسبها لأصحابها الحقيقيين، ففي كل مرة يقول : وروّي، ومما يحكى، وذكروا .

ربما كان للدرجيني اهتمام أكثر بكرامات الشيوخ الأمر الذي غطى على الجانب التجاري، وإذا كانت مشكلة القرن 7هـ/13م هي إعادة إخراج نصوص السابقين في قالب جديد فإن مشكلة القرن 8هـ/13م هي الغيّاب التام للكتابة التاريخية الوهبية فلم أعثر ولا على مصدر عاش صاحبه خلال هذا القرن وهو أمر لم يكن باستطاعتي تفسيره في ظل انعدام مؤشرات أسباب غياب الإنتاج الفكري الوهبي، وهذه المشكلة تذكرني بغياب المصادر التاريخية الإباضية في القرن 4هـ/10م بسبب سقوط دولة الرستميين، وعلى كل حال ليس من الضروري أن يكون في كل قرن إنتاج تاريخي ومتابعة لأخبار الجماعة فربما في القرن 8هـ/14م أغنت مصادر القرون 5-6-7هـ/11-12-13م عن الكتابة ولم يستجد للجماعة جديد يستدعي منها تأليف وإضافة مصنفات جديدة في التاريخ والسّير .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

VII. القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي :

أطلّت الكتابة التاريخية الوهبية من جديد خلال القرن 9هـ/15م بعد غياب قرن كامل، ولعل هذا الغياب وأسباب أخرى استرعت اهتمام البّرادي وحملته على تأليف كتابه الجواهر فمن هو البرّ ادي؟

البرادّي (ت بعد 810هـ/1407م)، **الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات**[1].

البرّ ادي هو أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم الدّمري البرادي، ولد بجبل دّمر في الجنوب التونسي درس في عدة مراكز إباضية مثل جربة وجبل نفوسة وأصبح فقيها عالما، باشر التدريس بالمدرسة التي درس بها بجربة، له مؤلفات كثيرة منها كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، توفي بعد 810هـ/1407م[2].

لقد حاول البرادّي في كتابه الجواهر أن يستدرك النقص الذي اعترى طبقات الدرجيني، فالدرجيني لم يتحدث عن الطبقة الأولى من 01-50هـ/622-670م بحّجة أن هذه الطبقة أشهر من أن يتحدث عنها، ولذلك سعى البرادّي في كتابه لتغطية هذه الطبقة، وكتابه من الناحية الزمنية يبدأ من 01هـ/622م إلى عهد أبي اليقظان الرستمي الذي توفي سنة 281هـ/894م.

على الرغم من أن الدّبي كتب عن الرستميين واعتمد في بعض أخبارهم على ابن الصغير[3] فإنه لم يتحدث عن علاقات الدولة الرستمية ببلاد السودان رغم أن كتاب ابن الصغير يتوفر على نصين حول علاقات الرستميين بإفريقيا جنوب الصحراء.

---

(1)/ البرادي، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات، قسنطينة، 1884.

(2)/ ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج4، ص : 708-710.

(3)/ البرادي، المصدر السابق، ص : 174.

VIII. القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي :

تميز القرن 10هـ/16م بظهور مؤلف تراجمي جديد في الساحة التاريخية الوهبية، يشبه إلى حد بعيد موسوعة تاريخية تراجمية للمذهب الإباضي وهو سيّر الشماخي.

الشّماخي (ت 928هـ/1522م)**السيّر**[1].

أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد بدر الدين الشماخي من بلدة يفرن بجبل نفوسة درس بجبل دمر بجنوب إفريقية، اشتهر بالتأليف فكان كتاب السّير من مؤلفاته التي جمع فيها ما كتبه أسلافه في التاريخ والسّير، توفي سنة 928هـ/1522م[2].

استخدم الشّماخي في كتابه مصادر متنوعة تاريخية وجغرافية، إباضية وغير إباضية فكان بذلك خلاصة لتاريخ الإباضية وموسوعة ضمت بين دفتيها كل ما كتبه كل من أبي زكرياء الوارجلاني وأبي الربيع الوسياني وأبي العباس الدرجيني، لقد حاول المؤلف جمع ما أمكن من أخبار عن الإباضية وعلمائها لتغطية الفترة الممتدة من 01هـ/622م إلى القرن 9هـ/15م[3].

أما عن نصوص الشماخي المتعلقة بالتجارة الصحراوية فهي على النحو الأتي :

النص الأول :

"... وكان في بلده غزالة أمة الواحد. وقيل عنها قبل أن تجلب من السودان إذا أكلت الدم قاءته ولا يثبت في بطنها . فلما جلبها مشتريها إذا جعلها قبل أن تسلم في سلسلة من العبيد خشية الإباق فإذا سمعت القراءة قعدت على نفسها وبركت على ركبتيها واستمعت وأسلمت. فاشتراها رجل من أهل ويغوا، فكان دأبها أن تخدم مولاها بالنهار فإذا نام ونامت عياله انصرفت، فتحضر مجلس الذكر عند أبي محمد عبد الله

---

(1)/ مصدر سبقت الإشارة إليه .ينظر :

-Tadeusz Lewicki , «Une chronique ibadite, Kitab as- Siyar d'Abu 'l-'Abbas Ahmad aš-Šammahi», *Revue d'études Islamiques* , 1 (1934) , p. 59-78.

(2)/ ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج2، ص : 86-88.

(3)/ ينظر : الشماخي، المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص : 18-26.

بن الخير في تنورزيرف-وجدتها بخط عمنا يحي بن أبي العز براء بين واو وزاي، بعدها ياء وراء وفاء-وبينهما نيف وعشرون ميلا، أكثره صعود وهبوط وعقاب وجبال فإذا انقضى المجلس رجعت فتأتي مصلى لها كهف معلوم فتصلي وتجد مصباحين يقدّان لها فإذا كان آخر الليل أتت أهلها فأيقظتهم للصلاة ففطن لها سيدها فأعتقها وتمادت على فعلها وتجد بعد العتق مصباحا واحدا."[1].

هذا النص تمت مناقشته ضمن نصوص البغطوري (النص الخامس) وهو يتحدث عن اندماج العنصر السوداني في العنصر المحلي بجبل نفوسة عن طريق دخول الإسلام.

النص الثاني :

"...ومكث الإمام أفلح ما تقدم في الولاية ومع ذلك أراد قبل الولاية السفر للتجارة فسأله أبوه، فتوقف في المسألة فمنعه خشية أن يدخل عليهم الربا..."[2].

هذه الرواية مكررة وتمت مناقشتها ضمن نصوص الوسياني (الرابع)، والدرجيني (الثالث) وأخذها عن ابن الصغير.

النص الثالث :

"...وأهدى أمير القيروان سيفا لأهل الجبل....فاختلفوا....وقال بعضهم : امسكوه فإن عطايا الملوك جائزة ومن هؤلاء أبو معروف . فأصيب ببصره قال : ابن ماطوس الحمد لله الذي جعله له في دنياه ولم يجعله له في آخرته وبعث للشيخ عبد الحميد الفزاني أن يرسل له دواء لًعينه..."[3].

هذا النص مكرر عند الوسياني (الأول) وعند الدرجيني (الرابع) وقد تحفظ الشماخي عن ذكر اسم الأمير الذي أرسل الهدية، ربما تفطن لوجود تناقض بشأنه، ومن المرجّح أن يكون المرسل أحد أمراء الأغالبة.

---

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 356-357.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 361.

(3)/ نفسه، ج2، ص : 418.

النص الرابع :

وفي حديثه عن دولة الأغالبة يقول المؤلف :

" ولم تبق أيامهم بعد ذلك إلا قليلا حتى أباد الله ملكهم وأهلكهم وأزال الأمر من أيديهم وذلك عام ستة وتسعين ومائتين. وجعل الله سبب وهن شوكتهم أن إبراهيم قتل رجاله خصوصا من برقادة فنازلهم بنفسه وحاربهم وبارزهم فلم يقدر لهم على شيئ ثم أظهر أنه عفا عنهم ثم خلع عليهم ثم اجتمع عنده نحو ألف منهم فأحاط بهم وقاتلوا على أنفسهم قتالا شديدا ثم قتلهم جميعا. وقتل غلمانه الصقالبة ثم اشترى العبيد السودان مكانهم فبلغت عدتهم مائة ألف وقتل وزيره أحمد بن أبي إسحاق. وكاتبه رجاء بن محمد. فدمرهم الله وأوهن شوكتهم وسلط عليهم كتامة مع بني عبيد الله..."[1].

في هذا النص يجّر الشماخي على تاريخ الأغالبة الأعداء التقليديين للرستميين، على عهد إبراهيم بن الأغلب الذي جلب العبيد السودانيين وجعلهم حرسه الخاص لكن الرقم المقدم في النص يبدو نوعا ما مبالغاً فيه، ويجعل المؤلف سبب سقوط الأغالبة تلك الجرائم التي ارتكبها إبراهيم في حق رجاله وعبيده من الصقالبة.

النص الخامس :

في ترجمة أبي عمرو ميمون بن محمد الشروسي :

" وفي السيّر، سمع مجلس الخمر في الفحص على ستة أميال من شروس...فكسر آنيتهم وأراق شرابهم، وفيها جاز عليه ركب التكرور قدم من بلاد السودان فجمعوا له أربعمائة دينار فأبى من أخذها وأمر بإغلاق الأسواق والبروز إلى التكرور من أجل الانتفاع بالبيع والشراء، فطلب التكرور رؤية أبي عمرو....فأسلموا"[2].

هذا النص موجود عند البغطوري (الرابع) وتمّت مناقشته، لكنه يتناقض مع نص البغطوري فالبغطوري يذكر أن وفد التكرور مّر بجبل نفوسة للحج بينما يقول الشماخي أنهم أسلموا لما وصلوا الجبل

---

(1)/ الشماخي، مصدر سابق ج2، ص : 429.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 430-431.

على يد أبي عمرو، والمهم من النص أن أبا عمرو كان يشجع أهل شروس على التجارة مع التكرور وهو المنطقة الغربية بالنسبة لغانة تطل على المحيط الأطلسي.

النص السادس :

" وفي السيّر، قال أبو القاسم البغطوري : يحي الله الدين بهذين : ابن يونس [أبو زكرياء يحي بن يونس الفرسطائي] وابن يونس، لا سيما هذا، يعني أبا هارون . فخرجا كما تفرس. وكان واسع الدنيا تاجرا سفارا... "[1].

هذا النص أورده الشّماخي ضمن ترجمة أبو الربيع بن أبي هارون الجلالمي ومصدره في هذه الرواية هو البغطوري وبذلك يتوافق مع النص الأول من نصوص البغطوري وقد تمت مناقشة النص، فقد كان أبا هارون ممّن يتاجر في تادمكت في نهاية القرن 3هـ/9م[2].

النص السابع : في ترجمة أبي حسان بن أبي عامر :

"...فقال ما تقول في جالب الخدم تسّري واحدة فأتت بأولاد سود مثل الزيتون؟..."[3].

هذه المسألة تمت مناقشتها ضمن نصوص البغطوري كذلك (الثاني).

النص الثامن :

في ترجمة أبي القاسم الفرسطائي وابنه أبو يحي:

"وسافر أبو يحي إلى بلاد السودان، فألفى ملكهم ناحل الجسم، ضعيف القوى . قال له : ما بك؟ قال : خوف الموت قال أبو يحي : فأخبرته عن الله وصفاته سبحانه والجنة والنار والحساب، وما أعد الله للمطيع

---

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج 2، ص : 437.

(2)/ ينظر الصفحة : 70.

(3)/ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص : 458.

والعاصي. فكذّبني وقال : لو صحّ عندك ما تقول، لما بلغت إلينا لطلب الدنيا فما زلت أذكره نعم الله وآلائه حتى أسلم وحسن إسلامه"[1].

هذا النص استمده الشّماخي من البغطوري فهو يتوافق مع النص الثالث من نصوص البغطوري التي تمت مناقشتها ويبدو من النص أن أبا يحي كان يمارس التجارة مع الدعوة.

النص التاسع :

وفي ترجمة أبي صالح جنون بن يمريان :

" وشتمه رجال بتادمكت وهو في البيت فصاح إليه صائح. وخرج إليه فضربه فسقطت عيناه فقال المضروب: كيف صفة أبي صالح؟ قالوا : كذا وكذا قال والله ما بي غيره"[2].

محور الرواية هو أبوصالح جنّون بن يمريان[3] عاش في القرن 4هـ/10م[4] ولا نعلم إذا كان هذا العالم سافر إلى تادمكت من أجل التجارة، لكن المغزى من الرواية إبراز كرامة أبي صالح وردّه على من عاداه.

النص العاشر :

ترجمة أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي :

"ومنهم أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي رحمه الله . كان في العلم آية وفي العبادة غاية، صدق في وصفه أبو العباس [يقصد الدرجيني] : لا يضجر من السائل ولا يعي من المسائل. ذكر أبو العباس (أن) أبا نوح كان له أربعون فرسا وكان يصطفي منها فرسا عتيقا، كان تبذل فيه الأثمان الجليلة والأموال الجزيلة فيضن به، ولا يسمح بخروجه عن ملكه ويعده للشدائد لما اختبر من صبره

---

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 478.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 544.

(3)/ ينظر ترجمته في الصفحة 60.

(4)/ ينظر معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج2، ص: 232-234.

وحج به وسافر به إلى تادمكت قال أبو العباس :لعله أكثر من اقتناء الخيل لما يأمله من خير في نصرة الدين ومرافعة المعتدين ويكثر من سكنى البادية..."[1].

هذا النص يتوافق مع النصّ الرابع من نصوص المؤلّف المجهول وكذلك مع نصوص الدرجيني (النص الخامس) ويظهر من الرواية أن الشّماخي أخذه من طبقات الدرجيني لأنه ذكر أبو العباس كمصدر لترجمة هذا الشخص.

النص الحادي عشر :

وفي ترجمة أبي صالح الياجراني :

" وجلب من إبلِلْبهْعِ ـرة إلى وارجلان فباعها فأراد قبض الثمن قال المشتري ثمنها في تادمكت فأراد السفر معه موافقة له . فقال له بعض : أتحمل لي على جملك حملا وتبيعه بكذا وكذا؟ قال: نعم فحمل لهذلك فانتقص على ما وقّت له وسمى قيل ثلاث أرباع قيراط فرد الحمل من هناك ولم ير حمل في الأزمان رجع من هناك لأن المسافة بعيدة وهذا من تمام التحرج...."[2].

هذا النص ناقشته عند الفرسطائي ونقله الدرجيني عنه والشماخي بدوره نقله عن الدرجيني كما يتضح في ترجمة أبي صالح[3].

النص الثاني عشر : في ترجمة أبو محمد عبد الله بن الأمير اللمائي :

" وكانت أّمه آمة سوداء وكان ذلك غالبا على لونه فذكر أنه صحب في بعض أسفاره شيخا اسمه عزون. فلما كان ببعض الطريق كلّفه عزون ببعض الأحوال، فلم يفعل . وقال عزون، معرضا بسواده : لوكان العبد من ديباج، كانت أطرافه من تليس..."[4].

---

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 556-557.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 564.

(3)/ نفسه، ج2، ص : 562.

(4)/ نفسه، ج2، ص : 594-595.

هـذا الـنص وجـدت عنـه إشـارة مشـابهة في نصـوص الفرسـطائي (الأول) وعنـد الوسـياني (الثالـث) وآخـر عنـد الـدرجيني (الثـامن) وقـد نقلـه عنـه الشـماخي مـن ضـمن أخبـار علمـاء الطبقـة التاسعة.

النص الثالث عشر :

تملي الوسياني :

"ومـنهم تملـي الوسـياني وروى أبـو الربيـع [سـليمان بـن عبـد السـلام الوسـياني وأبـو نـوح صـالح بـن إبـراهيم] وأبـو عمـران : تملـي كـان عالمـا مقـلا في أول أمـره، وهـو مـن أهـل القصـور . وسـافر التجـار بـالتمر إلى الباديـة . وسـافر معهـم بمـزود تمـر علـى عاتقـه أو علاقـة أو وسـادة لاخـتلاف النقـل.فاسـتطعم القافلـة مسـكين فلـم يعبـأوا بـه وأطعمـه تملـي حـتى شـبع، فـدعا لـه بالنمـاء والبركـة، قـال : إن أمامـك قـوم أدركهـم الجـوع فـلا تنـزل حـتى تصـلهم . فلـم ينـزل حـتى وصـلهم ونزلـت القافلـة دونهـم فبـاع لهـم كمـا أراد وبـارك الله في وسـادته، ونمـت . وقيـل : بـاع صـاعا مـن تمـر بصـاع مـن دراهـم وكـان يأخـذ الصـامت والكسـور فمـا أتتـه القافلـة إلا وقـد بـاع بـوقر جمـل مـالا. فبـورك لـه في كـل شـيئ حاولـه. وجعـل يسـافر إلى تادمكـت وجمـع بهـا أمـوالا. وكـان يبعـث كـل سـنة سـتة عشـر كيسـا كـل كـيس فيـه خمسـمائة دينـار مكتـوب عليهـا هـذا مـال الله، إلى أبي عمـران موسـى بـن سـدرين، والـد هـارون الحـامي الوسـياني يفرقهـا. فأرسـل إليـه ألا تبعـث، أوليـاؤك أقـلاّء ومالـك كثـير وقـد اسـتغنوا. وكاتبـه تملـي : كـل مـن لم تعلـم لـه كبـيرة مـن أهـل الـدعوة فاعطـه. كـذا قـال أبـو خـزر ولا تسـأل عنهـا أحـدا. ووصـل إليـه يخلـف بـن تمصـكويت المـدوني وقيـل ابنـه أبـو نـوح سـعيد فقـال لـه : إن كنـت تأخـذ مـال الله أغنيـك وعقبـك، فقـال : لا . فأعطـاه دينـارا، وكـان يحـدث عمـا رأى مـن كثرة الكيوس مزمومة مكتوب على كل واحد : مال الله"[1].

هذه الرواية موجودة في السير للمؤلف المجهول (النص الثاني والثالث) من نصوصه.

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 602.

النص الرابع عشر :

في ترجمة أبي يحي زكرياء اليراسني :

" قال أبو العباس : سمعت من غير واحد من المشائخ...منها ما سمعت مرارا من أبي رحمه الله قال : وصل الشيخ زكرياء ذات مرة من سجلماسة إلى وارجلان وخرج يريد جربة مع أصحابه ومعهم قرب مائتي ألف وخمسين ألف ذهبا وتبرا أعني مثقالا..."[1].

هذا النص موجود عند الدرجيني (التاسع) لكن عند الدرجيني ذكر المبلغ مائتين وخمسين مثقالا بينما عند الشماخي فهو مائتي ألف وخمسين ألفا مثقالا وهو الصواب عندي وإلا فلما الخوف من الرعاة في إحدى مراحل طريقهم إلى جربة كما ورد في ثنايا القصة.

النص الخامس عشر :

"ومنهم علي بن يخلف كان عالما تقيا مستجاب الدعاء...وذكر ذلك البكري في المسالك والممالك إلا أنه لم يسمه وسماه غيره وهو أنه سافر إلى دواخل غانة تاجرا فأقام بها وله مكان عند ملكها وكان عظيما تحته اثنا عشر معدنا يستخرج منها التبر، ووقع القحط ببلادهم فاشتكت الرعية إلى السلطان وذلك بمدينة مالي فقربوا لأصنامهم الذبائح واستغاثوا بها. فلم يغاثوا وكان الشيخ علي على ارتحال فقال له الملك : ادع ربك لعله يغيثنا قال : لا يجوز، وأنتم تعبدون غيره قال : كيف صفة الإسلام؟ فما زال به حتى وحد وتكلم بكلمة الحق. وخرج هو وإياه إلى كدية فصار يصلي به علي ويتبعه على فعله وإذا دعا قال آمين فلما أصبح، عظم المطر وحالت السيول بينهما وبين المدينة وما دخلوا إلا في السفن مع النيل فدامت سبعا تسيح ليلا ونهارا فلما رأى ذلك دعا أهل بيته ثم وزراؤه ثم أهل المدينة ثم من قرب فأجاب جميعهم وأبى من بعُد وقالوا : نحن عبيدك ولا تبدل ديننا واشترط عليهم أن لا يدخل كافر المدينة وإن دخلها قتل فالتزموا بذلك"[2].

---

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 648-649.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 658-659.

هـذا الـنص ورد عنـد الـدرجيني في ترجمتـه لعلـي بـن يخلـف وقـد ناقشـته ضـمن نصـوص القـرن 7هـ/13م، وأشـرت إلى تناقضـه مـع معطيـات البكـري، فـالبكري عـاش خـلال القـرن 5هـ/11م أورد حكايـة عـن إسـلام ملـك ملـل وهـي نفسـها روايـة الـدرجيني الـتي أرخهـا بسـنة 575هـ/1179م، وهـذا هـو التنـاقض المقصـود ومـا زاد في تأكّـدي مـن أن الـدرجيني انتحـل القصـة ونسـبها لجـد والـده، اعتمـاد الشـماخي علـى نـص البكـري وذكـره أن الحادثـة وقعـت بـدواخل غانـة وهـي ملـل الـتي كانـت مـن أعمـال غانـة كمـا ذكـرت آنفـا ولم يـذكر التـاريخ الـذي وضـعه الـدرجيني للروايـة وتـرجم لعلـي بـن يخلـف ضـمن علمـاء الطبقـة الخامسـة 200-250هـ/816-864م، وكخلاصـة عـن الروايـة أقـول أن ملـك ملـل أسـلم بدايـة القـرن 5هـ/11م علـى يـد فقيـه إباضـي يسـمى علـي بـن يخلـف ولمـا توافـق اسـمه مـع اسـم جـد والـد الـدرجيني الـذي كـان يسـافر إلى غانـة نسـب القصـة إليـه غـير أنـه وقـع في فـخ الإطار الزماني ولم يعلم أن الرواية ذكرها البكري في القرن 5هـ/11م.

النص السادس عشر :

ترجمة العالم هارون بن موسى بن سدرين :

" ومـنهم ابنـه هـارون كـان عالمـا متقيـا ألّـف كتابـا طلبـه عنـده جنـون بـن يمريـان وأعجلـه السـفر وتركـه في الألـواح وهـو حـاّمي مـن بـني ويسـيان. ثم عـزم علـى السـفر إلى غانـة وكتـب إليـه أبـو عبـد الله بـن بكـر أن يـترك السـفر فيدعـه فـإن في بـلاد أهـل الـدعوة خـير الـدنيا والآخـرة ...أن ادع السـفر إلى تلـك الجهـة، فمـا أغنـت عـن فلحـون بـن إسـحاق حـتى مـات فيهـا فـذهبت نفسـه وعلمـه ...فتوجـه إلى تلـك البـلاد وتـرك رأي عبـد الله فلمـا وصـلها خـرج إلى أغيـارو فوجـدهم عـراة فلـزم بيتـه حـتى مـات فيها رحمة الله عليه"[1].

هـذا الـنص ورد في سـير المؤلـف المجهـول (الـنص الخـامس) مـن نصوصـه وقـد تمـت مناقشـته ضمن نصوص القرن 6هـ/12م.

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 677-678.

النص السابع عشر :

ترجمة أبو الحسن علي بن مجبر (1) :

" ومنهم علي بن مجبر وسبب توبته أن طار عليه ودك من لحم جمل يشوونه فأحرقه فقال لأصحابه : انظروا ما فعل بي هذا...فكيف بنار الآخرة أشهدكم أني تائب إلى الله فرد تباعاته ومظالم العباد. وكان قتل رجلين...وكسر دجاجة رجل فسأل عنه فقيل : مات بالموضع الفلاني وترك ولدا بأودغست فسافر حتى بلغه فدفع جملا في تباعة الدجاجة فرد إليه جمله وأعطاه مائة دينار وثورا لضيافته وخادما يخدمه (2)..."[1].

1/ أبو الحسن علي بن مجبر المعلومات عنه قليلة جدا خارج ما قدمه الشماخي في سيره فقد ترجم له ضمن علماء الطبقة الخامسة 200-250هـ/816-864م، عاش في وارجلان اشتهر بكرامات كثيرة.

2/ لما تاب أبو علي حسن بن مجبر أخذ في رد المظالم ما تطلب منه السفر إلى أماكن بعيدة مثل أودغست وإذا كان أبو علي من علماء الطبقة الخامسة فإن أودغست في هذه المرحلة كانت تحت سلطة غانة وكما رأينا سابقا فإن أغلب التجار الإباضيين كانوا يسافرون إلى غانة عبر سجلماسة[2].

النص الثامن عشر :

ترجمة أبو طاهر إسماعيل بن علي النفزاوي :

" ومنهم أبو طاهر إسماعيل بن علي النفزاوي كان عالما ورعا محتاطا وروى الشيخ إلياس بن عبد الله اللواتي أنه بات معه عند الشيخ أبي العباس بن محمد بن علي في تماوط فلما قدم لنا العشاء وغسلنا إذا على الطعام لحم جمل فرفع الشيخ إسماعيل يده قال أبو العباس كل، قال لا قال خذ مسألة أفتاها أبو العباس بن أبي عبد الله، وهي أن ما بأيدي العرب ريبة وتصدقت عليك يا

---

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 684.

(2)/ ينظر حول مدينة أودغشت : الإدريسي، مصدر سابق، ص : 108. و كذلك ينظر : الاستبصار، مصدر سابق، ص:215.

إلياس بهذا الطعام، قال قبلت قال : كل قال لا قال : فإبل العرب مال قدموا به والأصل حلال فكل، فقالت زوجته : بل هي إبلنا أخذوها منا غصبا . فأمر أن ينّحى الطعام فأوتي بصحفة أخرى عليها لحم ضأن فأكل منها. وهذا الشيخ من تينبامر تناوتي وكان صالحا متقيا حزيما سافر إلى غانة ولم يصل بغير وضوء..."[1].

هذا النص تمت مناقشته ضمن نصوص المؤلف المجهول (السابع) جاء عند الشماخي برواية إلياس بن عبد الله اللواتي وليس مستبعدا أن يكون أخذه عن سيّر ذلك المؤلف.

النص التاسع عشر :

ترجمة أبو محمد عبد الله بن محمد السدراتي :

"ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد السدراتي وهو خال لأبي محمد عبد الله بن محمد اللواتي، كان شيخا فاضلا ورئيسا عالما حزيما للدنيا والآخرة. ومن رئاسته أنه سافر إلى بلاد السودان فجعل تجارته كلها صامتا وحملها على جمل فإذا نزل ضرب خباه ودخل فيه واشتغل بالعبادة وما يصلح به وكان معه حضري جعل تجارته عبيدا فشقوا عليه في الطريق. فإذا نظر إلى الشيخ وهو في هناء وراحة قال : سبحان الله من خلص عبد الله من هذا البلاء وأراحه. وقيل له : ما تتمنى ؟ قال : أكون وسط قومي أواسي فقيرهم وأعلم جاهلهم."[2].

هذا النص تمت مناقشته ضمن نصوص الوسياني وهو النص السابع كما تم سابقا.

---

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 690-691.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 723.

النص العشرون : ضيفا الساكن بالرمال :

" ومنهم ضيفا الساكن بالرمال وخبرهما على ما ذكر ابن بيدير إسماعيل، أن رجلا يسكن بالرمال قرب سوف، وليس له سوى عنز وولدها وبكرة عرجاء . فضافه عزابيان، وامرأته غائبة بسوف مسافرة، تبتغي لهما طعاما فقام إليهما ورحب بهما وأحيا السلام. واشتغلا بصلاتهما فقام إلى العنز وذبحها وطبخ لحمها وقدم إليهما القدر وأكل هو من فؤادها. فبلغ فيهما فعلة، فأكلا ما قدر لهما. ثم نام ولما استيقظ وجد عنزة ترضع ولدها ولا علم له بهما أين ذهبا، فلما أصبح ركب بكرته وقصد ماء يسمى أعزاب. فإذا برفقة على الماء أقبلت من تادمكت وفيهم شيخ. فحظهم على الصدقة فجمعوا له ثلاثمائة دينار وأوقروا بكرته من متاع بلاد السودان فرجع من الأغنياء ووسّع الله عليه وضافه بعد ذلك جماعة من العزابة وهو في أرغد عيش..."[1].

يغيب الإطار الزماني للرواية بسبب جهلنا لهوية الساكن بالرمال لكن الشماخي جعله ضمن أعلام الطبقة الخامسة ويبدو أن الرواية التي بين أيدينا تصب في كرامات الأولياء ومزاياهم الخاصة، لكن في الرواية أن السّاكن بالرمال قرب أسوف استقبل رفقة أي قافلة قدمت من تادمكت وأعطته حملا من متاع بلاد السودان وهذا دليل على نشاط المحور التجاري الذي يمر بالواحات أسوف، أريغ، وارجلان إلى تادمكت.

النص الواحد والعشرون :

" ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن رستم ومن كراماته أن ولده في غانة فقال لأهله : أخّروا عشائي آكله مع عمران. فرجاه حتى مضى هون من الليل فخرج وصعد على صخرة السبع. فنادى ابنه غائبا عنه، فلم يجبه أحد فتعجب الناس من ندائه، فرجع فإذا بعمران أقبل وأكل عشاءه معه"[2].

هذا النص تمت مناقشته ضمن نصوص السير للمؤلف المجهول وهو النص الأول من نصوصه.

---

(1)/ الشماخي، مصدر سابق ، ج2، ص : 726-727.

(2)/ نفسه، ج2، ص : 732-733.

النص الثاني والعشرون :

" وذكر أنه (1) وطّن غريان ....نزل ومعه عبيد أراد بيعهم في مدينة طرابلس (2)"[1].

1/ هذه الرواية نسبها المؤلف لأبي عبد الله محمد بن الشيخ بن إبراهيم بن أبي يحي الباروني، ولد على الأرجح في السنوات الأولى من ق 8هـ/14م وتوفي في إقليم يفرن في أواخر هذا القرن[2].

2/ المقصود بالرواية هو الفقيه أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي من قرية جيطال بجبل نفوسة، درس في عدة من قرى الجبل فكان من شيوخه أبي موسى الطرميسي، من أشهر مؤلفاته كتاب فقهي وهو"قناطر الخيرات "، توفي في جربة سنة 750هـ/1349م[3]، ويفهم من النص أن الجيطالي كان يشتغل بالتجارة ما بين الجبل ومدينة طرابلس حيث يقوم ببيع العبيد، ويبدو أن تجار الجبل كانوا يقومون بدور الوسيط في نقل البضائع والتبادل التجاري من بلاد السودان إلى مدن الساحل ومنها إلى موانئ أوروبا خاصة إيطاليا لقربها من طرابلس[4].

(1)/ الشماخي، مصدر سابق، ج2، ص : 785.

(2)/ لوفيتسكي، المؤرخون، مرجع سابق، ص : 34.

(3)/ ينظر : معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، مج2، ص : 112-114.و ينظر كذلك : الصادق بن مرزوق،" أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، حياته و مآثره "، *أعمال الملتقى حول تاريخ جربة (أفريل 1982)*، تونس، المعهد القومي للآثار والفنون، 1986، ص: 49-54.

(4)/ ينظر : محمود حسين كوردي، مرجع سابق، ص : 139.

ثالثا:

تحليل معطيات المصادر والنصوص الوهبية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد عرض النصوص الوهبية المتعلقة بالتجارة الصحراوية و التعليق عليها، تأتي مرحلة تسجيل ملاحظات عليها واستثمار معطياتها وتحليلها قدر الإمكان لبناء صورة واضحة ومكتملة عن التجارة المغربية نحو بلاد السودان في الفترة الممتدة بين القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م.

01/ مشكلة تكرار النصوص في المصادر الوهبية :

القرون	عدد النصوص	المكرر منها	الصافي
ق 3هـ/9م	00	00	00
ق 5هـ/11م	06	00	06
ق 6هـ/12م	26	00	26
ق 7هـ/13م	10	08	02
ق 9هـ/15م	00	00	00
ق 10هـ/16م	22	17	05
المجموع	64	25	39

التمثيل البياني :

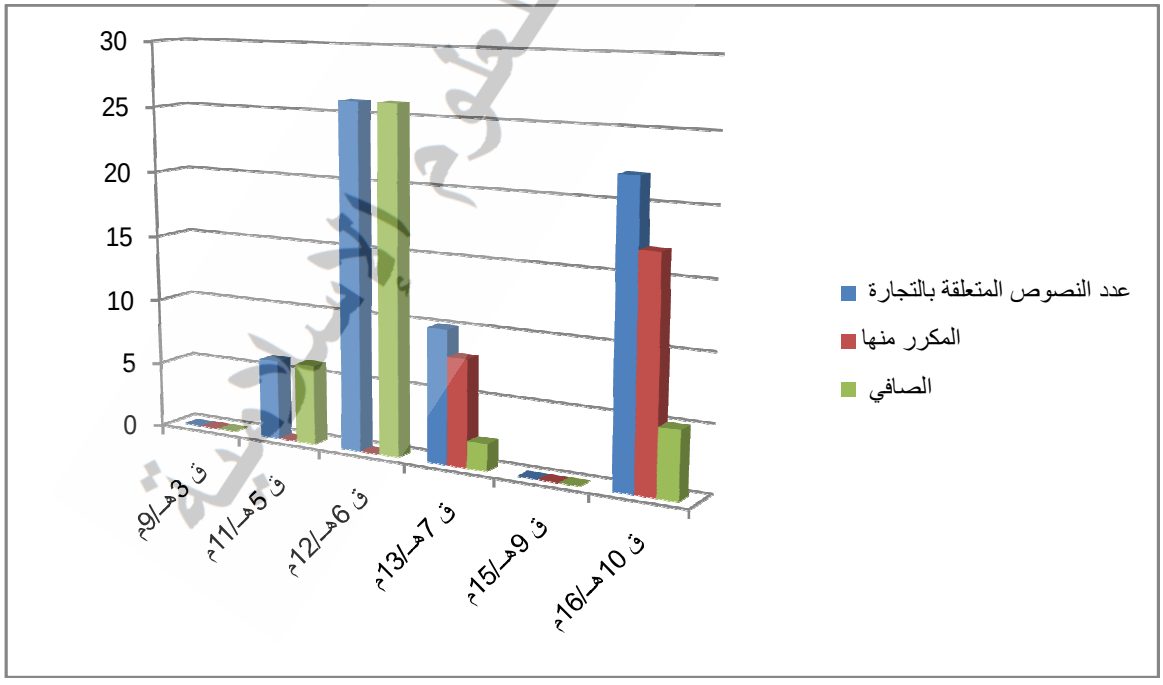

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال الجدول الإحصائيالتمثيل البياني أجريت مقارنة بين عدد النصوص الوهبيّة المتعلقة بالتجارة الصحراوية والمكرر منها حيث ألاحظ ما يلي :

- تكرار المصادر الوهبية لنصوص سابقة لعصرها ظهر بصورة واضحةجليّة في القرن 7هـ/13م مع الدرجيني، حيث أحصيت 08 نصوص مكرّرمن أصل 10 ليست من تأليفه الخاص أي نقلها عمّن سبقه، منها 03 نصوص موجودة عند أبي زكرياء الوارجلاني ونص عند الفرسطائي و03 نصوص موجودة عند الوسياني، ونص عند المؤلف المجهول.
- غياب النصوص في مصادر القرنين 8-9هـ/14-15م وبالتالي غياب ظاهرة التكرار.
- وفي القرن 10هـ/16م تفاقمت ظاهرة التكرار، وهو أمر لابد منه اعتمد عليه الشماخي في كلامه عن القرون التي سبقته، ما جعلني أسجل 17 نصّا مكرّرمن أصل 22 نص، منها نص عند الفرسطائي،و04 نصوص عند الوسياني و05 نصوص عند المؤلف المجهول و05 نصوص عند البغطوري و07 نصوص عند الدرجيني.
- من الضروري أن نطرح مشكلة الأمانة العلمية الواجب اتخاذها أمام ظاهرة انتقال المعرفة التاريخية بين المؤرخين الوهبيين، إذ لابد من الإشارة إلى المصادر خاصة المكتوبة منها أثناء نقل الروايات، وهذا ما نفتقده عند بعض المصادر الوهبية مثل طبقات الدرجيني على وجه الخصوص، فغالبا ما يفتتح رواياته بالقول : " وروي، وذكر، وقيل، وعنه يحكى..."، فرواياته على هذا النحو مبنية للمجهول، صحيح أن قسم لا بأس به من كتابه مبني على الرواية الشفوية، لكن توجد روايات كثيرة نقلها حرفيا عن أبي زكرياء الوارجلاني وعن الوسياني ولم يشر صراحة لمن نقل عنه وهذا إجحاف لجهود سابقيه من مؤرخي الوهبية، وتغطية على جهودهم الواضحة في مجال التأريخ خاصة أبي زكرياء، فكتابه منسوخ حرفيا ضمن الجزء الأول من طبقات الدرجيني، والمؤرخ الوحيد الذي تعامل مع المصادر التي سبقته بروح علمية هو الشماخي، إذ لم تثنه النظرة المذهبية الضيقة عن اعتماد الكثير من مصادر المخالفين لمذهبه والاستفادة منها في تأليف كتابه السير، وهي دون شك نتيجة لسعة إطلاعه على الإنتاج المعرفي المتوفر خلال القرن 10هـ/16م، أما عن تعامله مع المصادر الوهبية فقد كان دائما يشير إليها إما باسم المؤلف أو باسم الكتاب فكثيرا ما يقول :"قال أبو العباس..."،"وفي السير..."،" وذكر أبو زكرياء..."، "وروى أبو الربيع...".

02/ الإطار الزماني للنصوص الوهبية موزعة على المصادر :

المصادر	عدد النصوص	الإطار الزماني للنصوص دون المكرر من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م							
		3هـ/9م	4هـ/10م	5هـ/11م	6هـ/12م	7هـ/13م	8هـ/14م	9هـ/15م	10هـ/16م
أبو زكرياء	03	00	02	01					
الفرسطائي	03	00	02	01					
الوسياني	07	02	01	04	00				
مجهول	09	00	05	03	01				
أبو يعقوب	05	00	00	02	03				
البغطوري	05	04	01	00	00				
الدرجيني	02	00	00	00	02	00			
الشماخي	05	03	01	00	00	00	01	00	00
المجموع	39	09	12	11	06	00	01	00	00

التمثيل البياني لمعطيات الجدول :

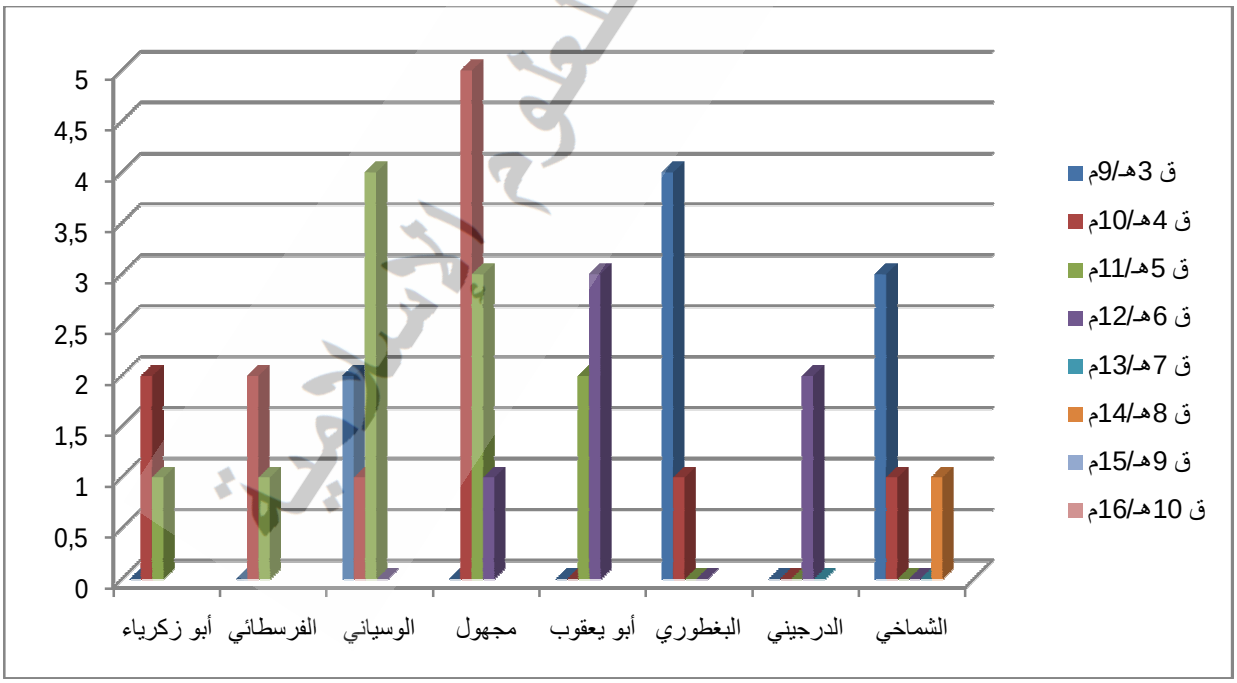

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال معطيات الجدول أخلص إلى الملاحظات التالية :

- من حيث إطارها الزماني تتوّع النصوص على القرون بطريقة غير منتظمة.
- يحتل القرن 4هـ/10م المرتبة الأولى من حيث عدد النصوص، حيث سجلت وجود 12 نصا (أبو زكرياء نصين، الفرسطائي نصين، الوسياني نص، المؤلف المجهول 05 نصوص، البغطوري نص ، الشماخي نص).
- يشغل القرن 5هـ/11م المرتبة الثانية بـ 11 نصا (أبو زكرياء نص، الفرسطائي نص، الوسياني 04 نصوص، مجهول 03 نصوص، أبو يعقوب نصين).
- وتعود المرتبة الثالثة للقرن 3هـ/9م بـ 09 نصوص (نصين للوسياني، 04 نصوص للبغطوري،03 نصوص للشماخي).
- المرتبة الرابعة للقرن 6هـ/12م بـ 06 نصوص (نص للمؤلف المجهول، 03 نصوص لأبي يعقوب الوارجلاني ونصين للدرجيني) والخامسة للقرن 8هـ/14م بنص واحد للشماخي، ويشهد القرن 7هـ/13م غياب تام لنصوص التجارة والأمر نفسه يسحب على القرنين 9-10هـ/15-16م.

وبهذه الملاحظات أخلص إلى ما يلي :

- شكّل كتاب السير للمؤلف المجهول مصدرا ثريا بالنصوص المتعلقة بالتجارة الصحراوية لاعتماده على شبكة واسعة من الرّواة، حيث قدم لنا 09 نصوص، ثم يأتي بعده الوسياني بـ 07 نصوص، أبو يعقوب، البغطوري، الشماخي بـ 05 نصوص لكل واحد منهم، أبو زكرياء والفرسطائي بـ 03 نصوص لكل واحد منهم وفي المرتبة الأخيرة نجد الدرجيني بنصين.
- يعتبر القرنين 4-5هـ/10-11م قرنا الرحلات التجارية الإباضية نحو الضفة الجنوبية للصحراء، بدليل وجود 23 نصا حول تلك الرحلات تمّت كلها خلال القرنين المذكورين.

03/ تحليل معطيات النصوص الوهبية :

أ/ التجارة والدعوة في النصوص الوهبية :

القرون	عدد النصوص	الإشارات	
		إشارات للتجارة	إشارات للدعوة
ق3هـ/9م	09	08	03
ق4هـ/10م	12	09	03
ق5هـ/11م	11	09	03
ق6هـ/12م	06	04	02
ق8هـ/14م	01	01	00
المجموع	39	31	11

تمثيل معطيات الجدول :

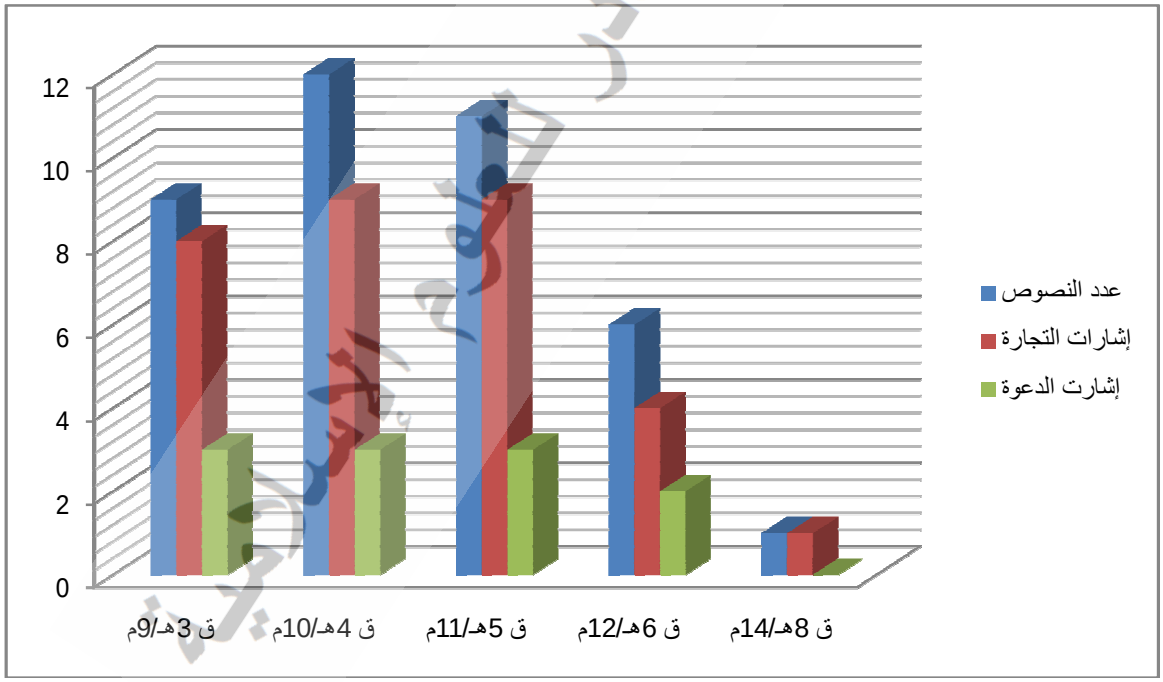

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد استخراج إشارات النصوص وتصنيفها في جدول بين إشارات تجارية ودعوية وتمثيلها بيانيا أخلص إلى الملاحظات الآتية :

- من خلال 09 نصوص في القرن 3هـ/9م سجلت 8 إشارات للتجارة وثلاث إشارات للرحلات الدعوية وهي رحلة عبد الحميد الفزاني إلى كانم، ورحلة أبي يحي الفرسطائي، ورحلة علي بن مجبر.
- تضمن القرن 4هـ/10م، 12 نصا سجلت فيها 09 إشارات للتجارة و03 إشارات للدعوة وهي تتعلق برحلة يخلف بن تمصكويت ورحلة أبو موسى هارون بن عمران ورحلة فلحون بن إسحاق، ما يعني أن ربع الرحلات تضمنت أنشطة دعوية خلال هذا القرن.
- في القرن 5هـ/11م من 11 نصا وجدت 09 إشارات للتجارة و03 إشارات للدعوة مثل رحلة إسماعيل بن علي النفزاوي.
- ومن ستة نصوص تتعلق بالقرن 6هـ/12م سجلت 4 إشارات تتعلق بالتجارة، إشارتين تتعلقان بالعمل الدعوي.
- في القرن 8هـ/14م نص واحد حول التجارة.

ومن هذه الملاحظات أخلص إلى النتائج الآتية :

- تضمن 39 نص حول التجارة الصحراوية خلال خمسة قرون لـ 31 إشارة حول التجارة مقابل 11 إشارة للرحلات الدعوية.
- باستثناء بعض الرّحلات الدعوية الواضحة، فإن النشاط الدعوي -مع قلته- في أغلب الأوقات جاء مقرونا بالعمل التجاري وغير واضح كعمل مقصود في الرحلة، ونظرا لعدم مواكبة الدعوة للتجارة من حيث الحضور في النصوص، فإني أرّجح أن العمل الدعوي للجماعة الوهبية كان يمارس على هامش الأنشطة التجارية ولم يكن مقصودا في ذاته، وذلك لا ينفي مساهمة الإباضية في نشر الإسلام فيما وراء الصحراء بغض النظر عن مدى صحة النصوص الوهبية المتحدثة عن أسلمة بلاد السودان ونشر الإسلام في تلك الربوع.
- تناقص الرحلات إلى الجنوب ودخولها شبه غياب خلال القرن 6هـ/12م وغياب تام في القرون 7-8-9-10هـ/13-14-15-16م بسبب توتر العلاقة بين دول المغرب وممالك السودان كما ذكرت آنفا خاصة ما وقع في القرن 6هـ/12م بين الدولة الموحدية ومملكة غانة.

ب/ مناطق الأنشطة التجارية شمال-جنوب :

-مناطق الشمال :

المناطق	عدد الإشارات	المناطق	الإشارات
الحامة	03	القصور	01
جبل نفوسة	07	أريغ	03
جربة	04	سجلماسة	01
وارجلان	09	درجين	01
تيهرت	01	أسوف	01
نفزاوة	02	طرابلس	01

التمثيل البياني لمعطيات الجدول :

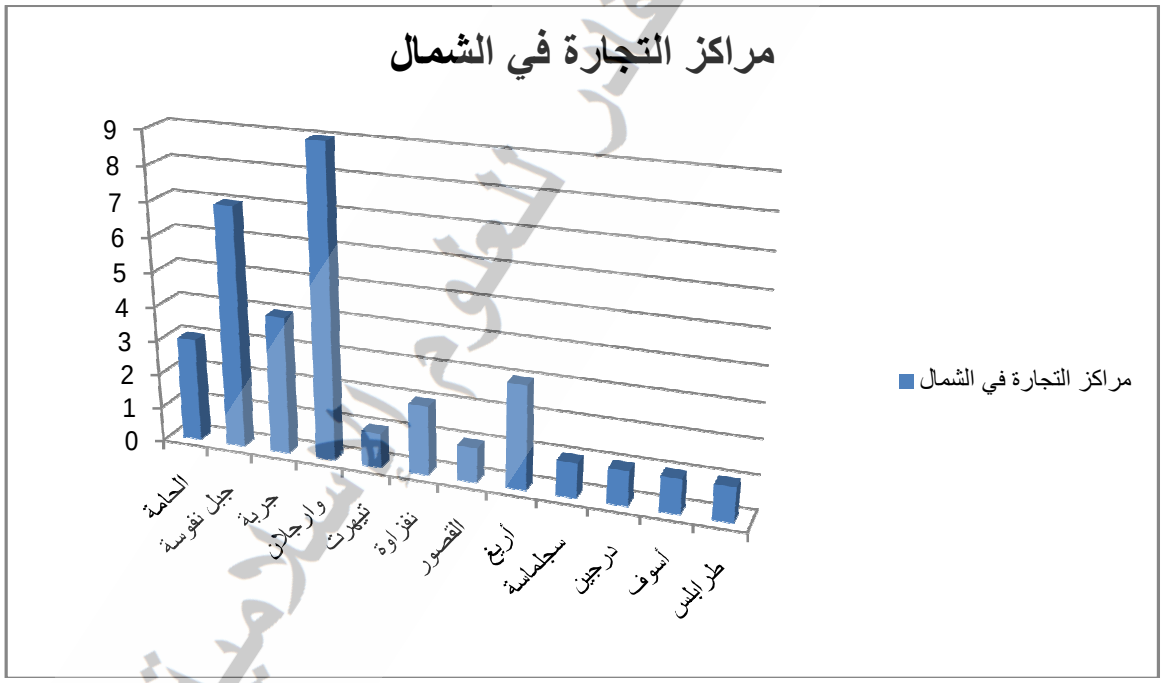

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد قراءة في النصوص الوهبية المتعلقة بالتجارة الصحراوية واستخراج المراكز التجارية النشطة في الشمال، التي ينطلق منها التجار وتصنيفها في جدول وتمثيل تلك المعطيات بيانيا أخلص إلى الملاحظات التالية :

- هناك تقريبا اثنا عشرة منطقة ينطلق منها التجار الوهبيين إلى إفريقيا جنوب الصحراء وأغلبها محطات تجارية واقعة على محاور تجارية كبرى.
- هناك مراكز نشطة وأخرى أقل نشاط، فالنشطة مثل وارجلان وجبل نفوسة-فقد سجلت 09 إشارات لوارجلان و07 إشارات لجبل نفوسة- لأسباب عديدة منها كونهما معقلين هامين للوهبية يقعان على طريق تجاري نشط كما أن جبل نفوسة تعتبر منطلق الطريق السوداني (الغدامسي) نحو تادمكت.
- المراكز الأخرى قليلة النشاط مثل مناطق بلاد الجريد فأحيانا لا تذكر إلا كمحطات للتجار القادمين من جبل نفوسة، كما أنه تجدر الإشارة إلى وجود مراكز أخرى اندثر ذكرها في المصادر الوهبية مثل تاهرت، إذ لا وجود لها خارج الحديث عن محاولة أفلح بن عبد الوهاب السفر منها إلى ڤاو.
- هناك مناطق تجارية نشطة مثل سجلماسة إلا أنها لم تحظ بتغطية واسعة في المصادر الوهبية على الرغم من وقوعها كمحطة هامة في الطريق الغربي، حيث لم تذكر إلا مرة واحدة في معرض الحديث عن رحلة فلحون بن إسحاق نحو غانة، والأكيد أنها محطة لابد من المرور عليها في الطريق إلى غانة.

-مناطق الإستقبال في الجنوب :

مناطق الجنوب	عدد الإشارات	مناطق الجنوب	الإشارات
غانة	11	ڤاو	1
تادمكة	10	تكرور	1
كانم	2	أودغست	1
		غيارو	1

التمثيل البياني :

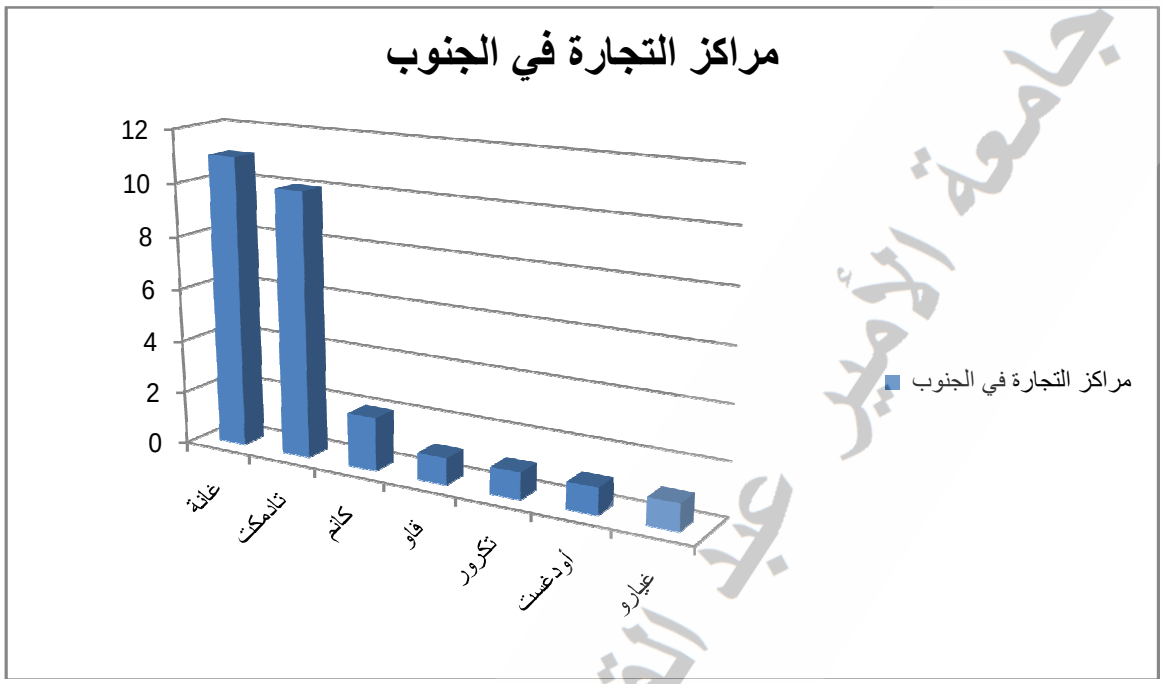

بعد قراءات في محتوى النصوص واستخراج الإشارات المتعلقة بالمراكز التجارية الجنوبية وتمثيلها بيانيا أخلص إلى ما يلي :

- شكّلت غانة الوجهة المفضلة للتجار الوهبيين نظرا لتوافرها على سلعة استراتيجية لعبت دور كبير في اقتصاديات دول المغرب وهي الذهب، ولذلك ورد ذكرها 11 مرة في 39 نصا، وهذا دليل على نشاط تجار الوهبية في هذه المنطقة واستمرارية نشاط الطريق الغربي.
- تأتي تادمكت كمركز تجاري هام بعد غانة، فقد ورد ذكرها 10 مرات وهي قبلة التجار الوهبيين القادمين من جبل نفوسة وبلاد الجريد ووارجلان لجلب الذهب والعبيد.
- هناك مراكز تجارية سودانية أخرى ثانوية لم تنل حظا وافرا في النصوص الوهبية نظرا لعدم أهميتها الاقتصادية مقارنة بغانة وتادمكت، وهي كانم لم يرد ذكرها إلا مرتين وهي مركز تجاري للعبيد، والكلام ذاته يسحب على المراكز الأخرى قاو وتكرور وأودغست وغياروا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج/ الطرق التجارية بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء :

المحاور	الإشارات بالقرون			
	ق3هـ/9م	ق4هـ/10م	ق5هـ/11م	ق6هـ/12م
جربة – بلاد الجريد – وارجلان– غانة – بلاد التكرور	01	05	06	03
طريق جبل نفوسة – بلاد الجريد – وارجلان – تادمكت وطريق جبل نفوسة – غدامس – تادمكت .	05	05	03	00
تيهرت – ڤاو	01	00	00	00
جبل نفوسة - زويلة - كانم	01	00	00	00
وارجلان – كانم	00	00	00	01

التمثيل البياني للإشارات :

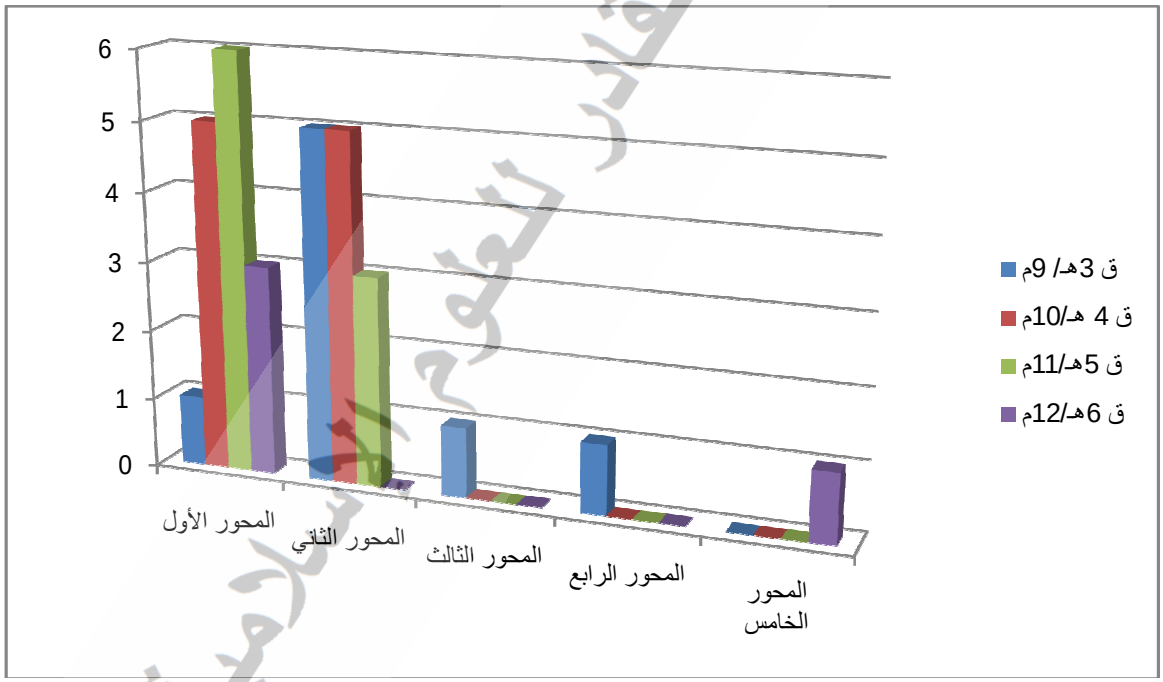

من خلال الجدول والتمثيل البياني أسجّل الملاحظات التالية :

- ظهر المحور الأول في القرن 3هـ/9م وأصبح جدّ نشط في القرنين 4-5هـ/10-11م، ثم تراجع دوره في القرن 6هـ/12م ولم يظهر بعد ذلك إذ لا وجود لنصوص وهبية تتحدث عن هذا المحور أو بعض مراحله بعد القرن 6هـ/12م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- بالنسبة للمحور الثاني فقد ظهر بقوة ونشاط خلال القرنين 3-4هـ/9-10م، ثم تراجع دوره في القرن 5هـ/11م وغاب في النصوص الوهبية منذ القرن 6هـ/12م.
- ظهر المحور الثالث في القرن 3هـ/9م ثم غاب بعدها بسبب سقوط الدولة الرستمية.
- توجد إشارة واحدة عن المحور الرابع في القرن 3هـ/9م ثم يغيب من النصوص.
- لم يظهر المحور الخامس إلا في القرن 6هـ/12م بإشارة واحدة ولم يعد له أثر بعد ذلك.

ومجمل القول في هذا العنصر :

- أن الأزمات السياسية ذات البعد العسكري المؤثرة على الطرق التجارية لم تكن واضحة التأثير في النصوص الوهبية، غير أن الإشارات حول الطرق تؤكد أن المحور الأول لم يتأثر بالأزمة الهلالية خلال القرن 5هـ/11م لمروره بوارجلان وتجنبه المجالات التي يسيطر عليها أعراب بني هلال، ولم يتأثر كثيرا بالصراع الصنهاجي المصمودي خلال القرن 6هـ/12م بدليل وجود ثلاثة نصوص تتحدث عن رحلات التجار الوهبيين إلى غانة عبر هذا المحور.
- تأثر المحور الثاني نوعا ما بأزمة القرن 6هـ/12م بدليل غياب نصوص تتحدث عنه في هذه الفترة.
- اندثار المحور الثالث بعد سقوط الدولة الرستمية إذ لا وجود له بعد القرن 3هـ/9م.
- أما عن غياب المحور الرابع والخامس فمن الممكن أن يكون بسبب الأزمتين المذكورتين إذ تنعدم الإشارة عنهما في النصوص الوهبية، باستثناء إشارة واحدة للمحور الرابع خلال القرن 3هـ/9م وإشارة واحدة للمحور الخامس في القرن 6هـ/12م.

وبذلك أقدم خريطة للطرق التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء اعتمادا على معطيات النصوص الوهبية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م :

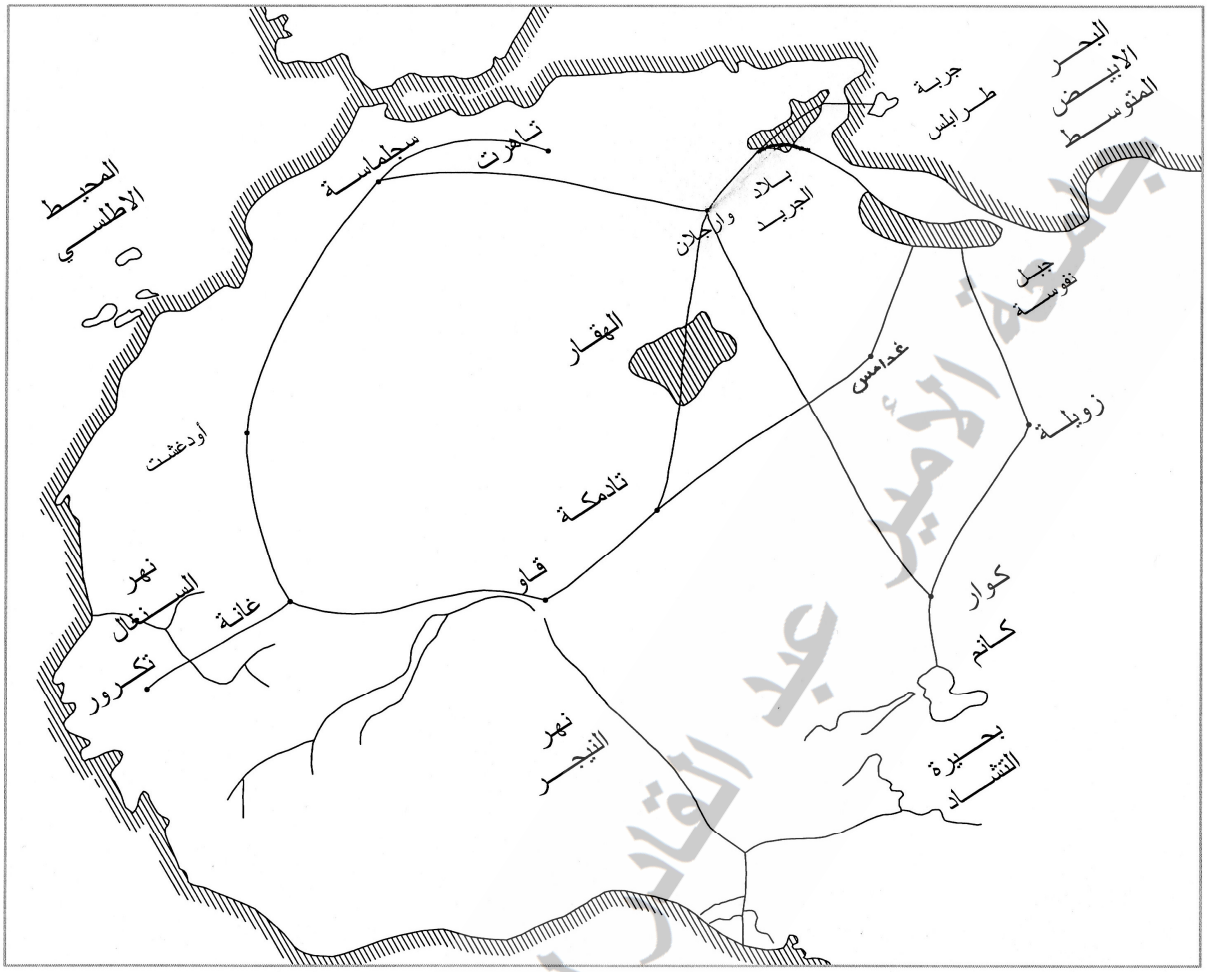

-خريطة توضح الطرق التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان من خلال المصادر الإباضية[1]

د/ السلع :

- **السلع المغربية :**

السلع	عدد الإشارات
الثياب	02
التمور	01

في الحقيقة لم تنل السلع التي يصدرها التجار الوهبيين نحو إفريقيا جنوب الصحراء حظا وافرا من الذكر في النصوص الوهبية، إذ لم أسّجل إلا وجود سلعتين بإشارات قليلة جدا مقارنة

(1)/ هذه الخريطة هي نتيجة لما تم التوصل إليه من معلومات حول التجارة الصحراوية من خلال ما هو موجود لدى المصادر الإباضية ورسمها جاء بعد قراءات عديدة في تلك النصوص واستخراج الإشارات المتعلقة بالمحاور التجارية وربطها لوضع شبكة تجارية تربط بين مراكز الشمال ومراكز الجنوب.

بعدد النصوص المتحدثة عن العلاقات التجارية بين الطرفين، وهذا حسب رأيي لعدم أهمية السلع المصدّرة مقارنة بالمستوردة من بلاد السودان، ولذلك في أغلب الأحيان تهمل الرواية ذكر السلع التي يحملها التجار معهم نحو بلاد السودان، وقد يعبر كذلك عن ضعف الموارد الاقتصادية وغياب سلع محلية ذات قيمة في التجمعات الإباضية من الممكن تصديرها نحو الجنوب.

- **السلع السودانية :**

السلع	عدد الإشارات
الذهب	02
العبيد	09
العاج	02
الملح	01
الدواء	01

التمثيل البياني للجدول :

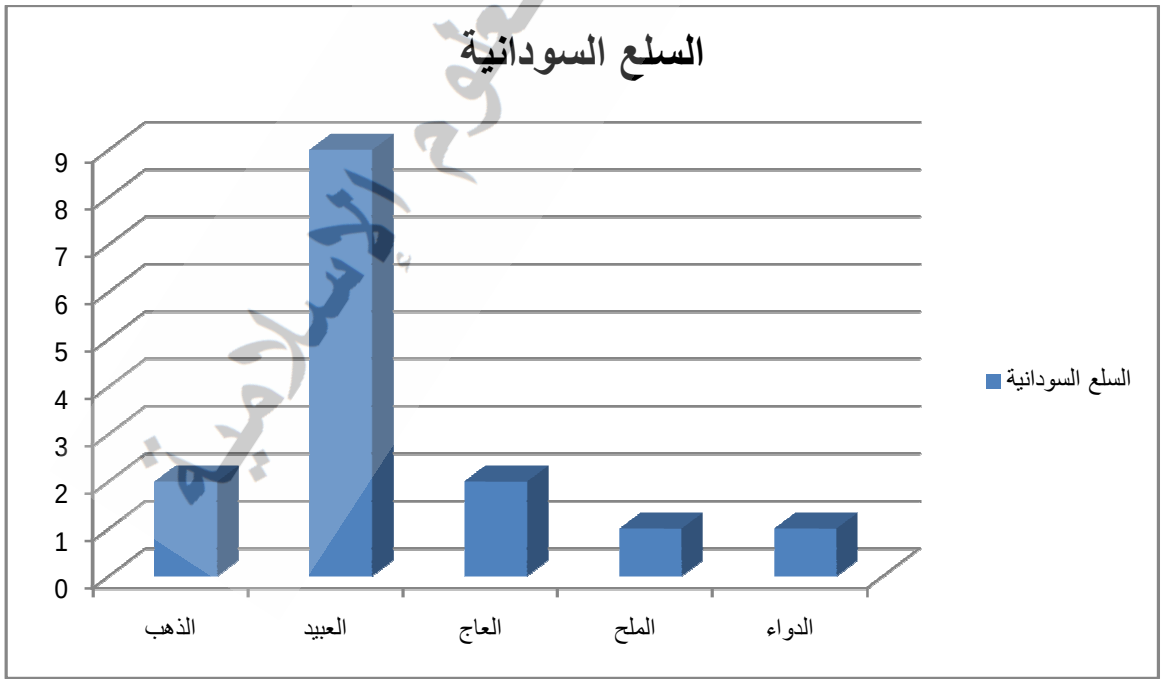

من خلال الجدول وتمثيله البياني أقدم الملاحظات الآتية :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- شكّل العبيد سلعة هامة جدا في الأنشطة التجارية الوهبية إذ سجلت 09 إشارات حول تجارة العبيد ويبدو من خلال النصوص أن هذه السلعة تجلب من السودان الأوسط من كانم والمناطق القريبة منها.
- يأتي بعد العبيد سلع أخرى مهمة كذلك وهي : الذهب يوجد عنه إشارتين والعاج إشارتين كذلك والملح إشارة واحدة والأمر نفسه مع الدواء، وتغيب الإشارات من النصوص الأخرى إذ يوجد حوالي 21 نص تبقى السلع فيها مبهمة ولا يمكن تكهنها- رغم وضوح الطريق- وأرّجح أن يكون الذهب والملح سلع مجلوبة عبر طريق غانة، بينما العاج والدواء يجلبان من السودان الأوسط.

هـ/ العملة:

لم تحظ العملة باهتمام واسع في النصوص التجاريّة الوهبية، لكن هذا لا ينفي حضورها فهناك إشارات تتحدث عن استخدام الدينار الذهبي كعملة في المعاملات التجارية مثلما جاء في حكاية تملي الوسياني الذي كان يرسل لأهل الدعوة كل سنة ستّة عشر كيسا في كل كيس خمسمائة دينار ذهبي، هذا في النصف الثاني من القرن 4هـ/12م ما يعني أن التعامل بالعملة يسبق هذه الفترة بزمن، وهذا لا يعني أن الدينار الذهبي كان وسيلة التعامل التجاري فقط فقد كان التجار يتعاملون بالتبر والكسور.

و/ وسائل الرحلة :

الوسائل	الإشارات
الجمل	02
الفرس	01

مثل السلع لم تحظ وسائل النقل باهتمام في النصوص الوهبية حيث لم أسجل إلا إشارتين للجمال وإشارة للفرس، ربما هذا الإهمال بسبب الاهتمام المفرط بمناقب المترجم له، لذلك تغيب من الرواية تفاصيل كثيرة تتعلق بالجانب التجاري كان من اللازم حضورها بقوة.

خـــاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خـــــاتمة :

امتد هذا البحث على مدار ثمانية قرون كاملة من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م، حاولت فيه استخدام معطيات المصادر الوهبية المتاحة، فكان منها ثمانية مصادر اهتمت بالجانب التجاري من تاريخ الجماعة الوهبية من أصل ثلاثة عشرة مصدرا، أما عن النصوص فقد رصدت في المصادر المذكورة حوالي 39 نصّا يتعلق بالتجارة، موزعة من حيث إطارها الزماني على القرون 3-4-5-6-8هـ/9-10-11-12-14م وبهذه المعطيات أخلص إلى النتائج التالية:

باستثناء بعض الأحداث التاريخية، توحي المصادر الوهبية بوجود مغرب واحد وهو المغرب الإباضي، وهذا من تأثيرات النزعة المذهبية على مؤرخي الوهبية وعدم اهتمامهم بالأخبار خارج مجال العالم الإباضي، ويعاني الإنتاج الفكري الوهبي ولاسيما البيوغرافي من وجود ثغرات خاصة في القرنين 4-8هـ/10-14م، حيث انتقلت أخبار هذين القرنين عن طريق الرواية الشفوية، كما أثّرت الصبغة المناقبية على المصادر الوهبية كثيرا لاسيما على علمية ودقّة النصوص المتعلقة بالتجارة، وما زاد الطين بلّة توظيف الأساطير والخرافة بشكل واسع جدا، فأحيانا يغوص القارئ في قصص خيالية لا يصدقها العقل.

تميزت النصوص الوهبية بقصورها عن تصوير الجانب التجاري للجماعة وعلاقاتها بالضفة الجنوبية للصحراء لطغيان الطابع المناقبي عليها، وما تم تسجيله من إهمال لبعض التفاصيل في رأيي لا يتعدّى كون الرواية لم توضع لتؤرّخ للتجارة بقدر ما هي تعريف بعلم معين وبأعماله، الأمر الذي أعطى للمؤلفين سلطة توظيف المعلومات التي تخدم الترجمة وتضفي طابع القداسة على الشيخ ولو بإهمال بعض الجوانب المهمة مثل تفاصيل الرحلات التجارية وتزمينها، و المتعامل مع هذا النوع من النصوص يدرك مدى صعوبة تحديد الإطار الزماني والمكاني للرواية إذ لا يتأتّى ذلك إلا بعد جهد طويل يستهلك في البحث عن ترجمة شخصية معينّة وتحديد مكانها، وتفرض علّي بعض النصوص–صمّاء نوعا ما-الدخول في مقاربات وترجيحات غير محمودة العواقب وغير مضمونة النتائج، من أجل معرفة تاريخ تنظيم رحلة معينّة.

وتبقى مشكلة التكرار الحرفي للنصوص سمة غالبة على مصادر ما بعد القرن 7هـ/13م، وفي الحقيقة ذلك أمر لابد منه لتغطية القرون السابقة على عصر المؤلف، وليس بمشكلة لو تمت الإشارة إلى المصدر وتثبيته مع النص المقتبس ويتجلّى هذا الأمر خاصة عند الدرجيني في طبقاته، ولا يتوقف الأمر عند التكرار فقط، فأحيانا يوجد تناقض ملحوظ إما النص في حد ذاته يتناقض مع معطياته أو يتناقض مع غيره

من النصوص الوهبية وهذا حسب رأيي يرجع لعدم تدقيق بعض المؤلفين الوهبيين لمعلوماتهم ما أوقعهم في أخطاء جسيمة كان من الممكن تفاديها.

إن دراسة نصوص التجارة الصحراوية من خلال المصادر الإباضية الوهبية أوصلتني إلى نتيجة مفادها أن التعامل التجاري للإباضية على عهد الدولة الرستمية كان واضحا ورسميا حيث تم على أعلى مستويات الدولة مع ممالك السودان الغربي، وهذا لا ينفي اتصال بعض التجمعات الإباضية الشرقيّة بممالك السودان الأوسط والتعامل معهم قبل سقوط العاصمة تيهرت وبعدها، وهذا الفشل السياسي الذي منيت به الجماعات الإباضية أفرز توزّعها في الواحات، ممّا مكّنهم من الاستقرار على المحطات التجارية الواحية مثل سدراتة ووارجلان، وأعطاهم فرصة الاندماج السريع في المنظومة التجارية الصحراوية، فأصبحوا بسرعة فائقة أسيادا لهذه الطرق وبالتالي شهدت المسالك التجارية تغيرا ملحوظا، لكن سقوط النظام الرستمي واندثاره لم يؤثّر على الأنشطة التجارية للجماعة الوهبية كثيرا، بدليل استمرار الرحلات التجارية وحضور مدن السودانين الغربي و الأوسط بقوّة في النصوص الوهبية، هذه الأخيرة لا تقدّم لنا تفاصيل كثيرة عن مراحل الطرق التجارية، فأحيانا تكتفي بذكر مكان الإنطلاق ومكان الوصول مع التكتّم عن المحطات التي مّر عليها الشخص المترجم له، ومع ذلك فقد استطعت بعد جهد رصد خمسة طرق تجارية استخدمها الإباضية لمباشرة أعمالهم التجارية عبر الصحراء.

أحيانا تغيب أسباب الرحلات التجارية في التراجم فلا تذكر الرواية إلا أن المعني كان في غانة مثلا ثم عاد إلى بلاد المغرب، و لا توظّف الرواية هذا الحكاية إلا للاستدلال على بعض تفاصيل حياة المترجم له وهذا الأمر جعلها تدير ظهرها لأسباب الرحلة ودوافعها وتفاصيلها الأخرى، كما لا تهتم بالسلع التجارية المتبادلة بين الطرف المغربي والطرف السوداني وباستثناء بعض السلع الواردة في النصوص، فأحيانا يحس القارئ أن تلك الرّحلات سياحية وليست تجارية، والكلام نفسه يسحب على وسائل النقل فقليلا ما تذكر في النصوص، أما عن السلع الواردة على بلاد المغرب من بلاد السودان فقد كان لبعضها مثل العبيد أثر عميق في تغيير التركيبة الإجتماعية في بعض التجمعات الوهبية وأدخلت للمجتمع المغربي عنصر جديد ذو بشرة سوداء، وهذه القضية طالما شكّلت موضوع مساءلات بين الفقهاء ما يدل على تأثيرها الواسع في المجتمع الإباضي آنذاك.

لقد لعبت التجارة الصحراوية دور كبير في تحريك بعض جوانب الاقتصاد المغربي فبعض التجمعات الوهبية كانت تمارس نشاطاتصناعيّة جد هامة مثل تحويل الذهب وسبكه بوارجلان وضربه نقودا وهذا يدل على أثر سلع السودان في اقتصاد الجماعة الوهبية خاصة وبلاد المغرب عامة.

وكخلاصة عمّا سبق فما تم التوصّل إليه من نتائج خلال هذا البحث لا تعبّر بالضرورة عن واقع التجارة المغربية-السودانية بقدر ما هي نتائج محقّقة ممّا تركه الإباضية من إنتاج فكري بيوغرافي حول علاقاتهم التجارية ببلاد السودان و دورهم في الربط بين ضفّتي الصحراء، ولا عجب فالمصادر الوهبية تؤرخ للتّجار الوهبيّن وللتجارة الوهبيّة نحو إفريقيا جنوب الصحراء وتتجاهل ما يحدث خارج عالم التجمعات الإباضية الوهبية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع :

أ/ المصادر :

01/ ابن الصغير (ت بعد 294هـ/907م)، *أخبار الأئمة الرستميين*، تحقيق : محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986.

02/ ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، ت 779هـ/1377م)، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، نشر : كرم بستاني، بيروت، دار صادر، 1992.

03/ ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي، ت 367هـ/977م)، *صورة الأرض*، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1996.

04/ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت 808هـ/1405م)، *العبر*، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1969، ج6.

05/ ابن عبد الحكم (ت 257هـ/871م)، *فتوح مصر والمغرب*، تحقيق : عبد المنعم عامر، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1961، ج1.

06/ ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحي، ت 749هـ/1348م)، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تحقيق : حمزة أحمد عباس،أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2002، السفر الرابع.

07/ ابن سلاّم (للّو اللّواتي، ت بعد 273هـ/886م)، *كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين*، تحقيق : فيرنر شفارتز وسالم بن يعقوب، فرانز شتايز، فيسبادن، 1986.

08/ الإدريسي (أبو عبد الله بن محمد، ت 560هـ/1165م)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، تحقيق : مجموعة من المحققين، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، دت.

09/ البرادّي (أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم الدّمري، ت بعد 810هـ/1407م)، *الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات*، القاهرة، 1885.

10/ البكري (أبو عبيد، ت 487هـ/1094م)، *المسالك والممالك*، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، مج2.

11/ البغطوري (مقرين بن محمد، حي سنة 599هـ/1203م)، *سيرة مشائخ جبل نفوسة*، تحقيق : توفيق عياد الشقروني، ليبيا، مؤسسة توالت الثقافية، 2009.

12/ الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت 670هـ/1272م)، *طبقات المشائخ بالمغرب*، تحقيق : إبراهيم طلاّي، قسنطينة، مطبعة البعث، 1974، 2ج.

13/ المديوني جنّاو بن فتى وعبد القهار بن خلف (ق 3هـ/9م)، *أجوبة علماء فزّان*، تحقيق : عمرو خليفة النامي، إكمال : إبراهيم محمد طلاي، قسنطينة، دار البعث، 1991.

14/ المزاتي (أبو الربيع سليمان بن يخلف، ت 471هـ/1078م)، *السّير*، تحقيق وتعليق : حاج سعيد مسعود، ط2السيّب، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، 1993.

15/ المهلّبي (الحسن بن أحمد، ت 380هـ/990م)، *المسالك و الممالك*، جمع وتعليق : تيسير خلف، دمشق، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

16/ الشماخي (أبو العباس أحمد بن أبي عثمان، ت 928هـ/1522م)، *كتاب السّير*، تحقيق : محمد حسن، ليبيا، دار المدار الإسلامي، 2009، 3ج.

17/ الوارجلاني (أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، ت بعد 474هـ/1081م)، *السّيرة وأخبار الأئمة*، تحقيق : عبدالرحمان أيوب، تونس، الدار التونسية للنشر، 1985.

- تحقيق : إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.

18/ الوارجلاني (أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، ت 570هـ/1175م)، *الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق*، تحقيق : الشيخ سالم بن حمد الحارثي، ط2، عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ، 2006، 3ج.

19/ الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي، ت 914هـ/1508م)، *المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب*، تحقيق : محمد حجي وآخرون، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1981، ج6.

20/ الوسياني (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان،ت بعد 557هـ/1162م)، *السير*، تحقيق : إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985.

21/ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت 284هـ/897م)،*كتاب البلدان*، ليدن، مطبعة بريل، 1890.

22/ نفسه ، *تاريخ اليعقوبي*، بيروت، دار صادر، 1960.

23/ مجموع *السّير*، تحقيق : عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، 2009، 3ج.

- الكتاب الثالث : الفرسطائي (أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي، ت 504هـ/1111م)، *السير*، ج2، ص : 763-917.يأتي من حيث الترتيب الأول في المجموع.
- الكتاب الأول : الوسياني (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان، ت بعد 557هـ/1162م)، *السير*، ج1، ص : 227-517. من حيث الترتيب الثاني.
- الكتاب الثاني : مجهول (ت ق 6هـ/12م)، *السير*، ج2، ص : 519-761. الثالث من حيث الترتيب.

24/ مجهول (ت ق 6هـ/12م)، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، نشر : سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1985.

25/ عبد الكافي (أبو عمار التناوتي، ت قبل 570هـ/1175م)، *السّير*، تحقيق : مسعود مزهودي، دن، 1995.

ب/ المراجع :

26/ إحسان (عباس)، "مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد"، *مجلة الأصالة*، 41 (1977)، ص : 25-42.

27/ الجنحاني (الحبيب)، "كتاب طبقات المشائخ بالمغرب لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني"، *حوليات الجامعة التونسية*، 15 (1977)، ص : 161-177.

28/ الجيلالي (عبد الرحمان)، "أبو يعقوب يوسف الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان"، *مجلة الأصالة*، 41 (1977)، ص : 162-171.

29/ الصّمدي (محمد)، " ملامح من تاريخ العلاقات المغربية السودانية من خلال بعض النوازل الفقهية "، *أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على ضفتي الصحراء، طرابلس*، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1999، ص : 332-338.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

30/ العسري (عبد الواحد)، "أجوبة مغربية عن إشكاليات عقدية وردت من بلادالسودان الغربي خلال ق6هـ/12م"، *أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على ضفتي الصحراء*، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1999، ص : 465-479.

31/ القاضي (وداد)، "ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية"، *مجلة الأصالة*، 45 (1977)، ص : 37-58.

32/ الشكري (أحمد)، *مملكة مالي الإسلامية*، أبوظبي، المجمع الثقافي، 1999.

33/ نفسه، *مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية*، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1997 .

34/ الشيخلي (صباح إبراهيم)،" النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس عشر "، *تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر*، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984، ص : 29-46.

35/ إسماعيل محمود (عبد الرزاق)، *الخوارج في المغرب الإسلامي حتى منتصف ق4هـ*، ط2، الدار البيضاء، دار الثقافة، ، 1985.

36/ بحاز (إبراهيم)، *الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية*، ط3، الجزائر، منشورات آلفا، ، 2010.

37/ بحاز (إبراهيم وآخرون)، *معجم أعلام الإباضية*، غرداية، المطبعة العربية، 1999، مج 2، مج3، مج4.

38/ بن مرزوق (الصادق)،"أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، حياته و مآثره"، *أعمال الملتقى حول تاريخ جربة (أفريل 1982)*، تونس، المعهد القومي للآثار و الفنون، 1986، ص : 49-54.

39/ بنعزوز (فريدة)، "قراءة في أبحاث تاديوش لوفيتسكي حول فجر العلاقات بين المغرب وبلاد السودان"، *أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على ضفتي الصحراء*، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1999، ص : 453-464.

40/ بورويبة (رشيد)، *الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها*، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977 .

41/ جودت (عبد الكريم يوسف)، *العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، الجزائر*، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

42/ حسن (محمد)، *الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع*، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.

43/ خليفات (عوض)، *نشأة الحركة الإباضية*، عمان، 1978.

44/ ديبوا (جون)، *جغرافيا جبل نفوسة*، ترجمة : عبد الله زارو، ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2005، ج1.

45/ روبيناتشي (روبيرتو)، *العزابة*، ترجمة : لميس الشجني، ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2006.

46/ طرخان (إبراهيم)، *إمبراطورية غانا الإسلامية*، القاهرة، الهيئة الإسلامية العامة للتأليف والنشر، 1970.

47/ كوردي (محمود حسين)، *الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على السودان الغربي (ق 2-8هـ/ق8-14م)*، ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008.

48/ لقبال موسى، *دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية*، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.

49/ نفسه، "من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى مكتبة المعصومة بتاهرت، هل أحرقت؟ أو نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني وارجلان"، *مجلة الأصالة*، 41 (1977)، ص : 51-59.

50/ نفسه، " الحلف بين أهل السنة والنكارية في القرن 4هـ/10م وأثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس "، *مجلة الأصالة*، 60-61 (1978)، ص : 55-64 .

51/ لوفيتسكي تاديوش، *المؤرخون الإباضيون في شمال إفريقيا*، ترجمة : ماهر جرار وريما جرار، ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2007.

52/ مزهودي (مسعود)، *الإباضية في المغرب الأوسط*، غرداية، المطبعة العربية، 1996.

53/ نفسه، *جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب*، ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2003 .

54/ مفتاح (صالح بن معيوف)، *جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، ليبيا*،مؤسسة تاوالت الثقافية، 2006.

55/ مفتاح (صالح مصطفى)، *ليبيا من الفتح العربي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر*، طرابلس، الشركة العامة للنشر والتوزيع، 1978.

56/ موسى (عز الدين أحمد)، *النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري*، بيروت، دار الشروق، 1983.

57/ عارف (تامر)، *المعز لدين الله الفاطمي*، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1982.

58/ عزب (محمد زينهم محمد)، *الإمام سحنون*، تقديم : حسين مؤنس، القاهرة، دار الفرجاني، دت.

59/ عمارة (علاوة)، " الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"، *مجلة التاريخ العربي*، 32 (2004)، ص : 330-370.

60/ فخار (إبراهيم)،" تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى"، *تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر*، معهد البحوث و الدراسات العربية، 1984، ص : 47-68.

61/ سرور (محمد جمال الدين)، *تاريخ الدولة الفاطمية*، نصر، دار الفكر العربي، دت.

62/ سعد (زغلول عبد الحميد)، "هامش على مصادر تاريخ الإباضية في المغرب، دراسة لكتاب السير "، *أعمال المؤتمر الأول لتاريخ و حضارة المغرب*، تونس، 1979، ص : 275-296.

63/ ولد الحسين (لـ ّاني)، *صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م*، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007.

- **باللغات الأجنبية** :

64/ Amara Allaoua , « la structuration des ibadites-wahbites au Maghreb 11e au 15e siècle » , *Annales islamologiques* , 42 (2008) , p.259-273.

65/Ibid , « Remarque sur le receuil ibadite-wahbite siyar al mashayikh : retour sur son attribution » , *AAM* , 15 (2008) , p.31-40.

66/ Cuoq M Joseph , *Receuil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale du 8e au 16e siècle* , Paris , Centre national de la recherche scientifique , 1975.

67/ Ennami , Amr. Khalifa , « A Description of new Ibadi Manuscripts from North Africa » **,** *Journal of Semitic Studies* , 15 (1970) , p.63-87.

68/ Ibid , *Studies in ibadism* , Thesis-Ph.d , Cambridge university , 1971.

69/ Levitzion Nehimia , « Ibn Hawqal , the cheque , and Awdaghost » *, Journal of African History* , 2 (1968) , p.223-233

70/ Lewicki Tadeusz , « l'État nord-africain de Tahert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du 8e et 9e siecle » , *Cahiers d'études africaines* , vol.2 , cahier 8 , 1962 , p.513-535.

71/ Ibid , «Les historiens ,biographes et traditionistes ibadites wahbites de l'afrique du nord » *, Folia Orientalia* , 3 (1961) , p.1-134.
72/ Ibid , « La répartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du nord au moyen âge » *, Rocznik Orientalistyczny* , 21 (1957) , p. 301-343.

73/ Ibid , « Le rôle du Sahara et des Sahariens dans les relations entre le Nord et le Sud » , *Histoire générale de l'Afrique* , Paris, Unesco/Nea , 1990, vol.3, p. 304-339.

74/ Ibid , « Les subdivisions de l'ibadiyya » , *Studia islamica* , 9 (1958) , p.71-82.

75/ Ibid , « Quelques extraits inédits relatifs aux voyages des commercants et des missionnaires ibadites nord-africains au pays du Soudan occidental au moyen âge », *Folia Orientalia* , 2 (1960) , p.1-27.

76/ Ibid , «De quelques textes inédits en vieux berbère provenant d'une chronique ibadite anonyme », *Revue d'études islamiques* , 3 (1934), p. 275-296.

77/ Ibid , «Traits d'hisoire du commerce transaharien marchands et missionnaires ibadites au soudan occidental et central au cours du 8^{e} au 12^{e} siécles» *, Etnographia polska* , 8 (1964) , p.291-311.

78/ Ibid , « Une chronique ibadite , Kitab as- Siyar d'Abu 'l-'Âbbas Ahmad aš-Šammahi » , *Revue d'études Islamiques ,* 1 (1934) , p. 59-78.

79/ *Études Maghrébines et Soudanaises* , Varsovie , Éditions scientifiques de Pologne , 1976-1983 , 2vol.

80/ Masqueray Emile , *Chronique d'Abou Zakaria* , Alger , Imprimerie de l'association ouvrière , 1878.

81/ Mauny Raymond , *Tableau géographique de l'ouest africain au moyen âge* , mémoire de l'Institut Francais d'Afrique Noire, 61 , Dakar,1961.

82/ Motylinski , A.de Calasanti, « Bibliographie de Mzab. Les livres de la secte abadhite » , *Bulletin de correspondance africaine* , 3 (1885) , p.15-72.

83/ Ibid , « Chronique d'ibn Saghir sur les imames rostomides de Tahert » , *Actes du 16e congrés international des orientalistes* , 3e partie , (1905) , p.3-192.
84/ Prévost Virginie,« La renaissance des ibadites wahbites à Djerba au 10e siècle », *Folia Orientalia* , 40 (2004) , p. 171-191.

85/ Ibid , *L'aventure ibadite dans le sud tunisien . Effervescence d'une region méconnue* , Helsinki, Academia scientiarum Fennica , 2008.

86/ Schacht Joseph, « Sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le Sahara », *travaux de l'institut de recherche saharienne*, 11 (1954) , p.11-30.

87/ Smogorzewicki Zygmunt , « Essai de bio-bibliographie ibadite –wahbite » , *Rocznik orientaliyezny* , 5 (1927) , p.45-47.

88/ Ulrich Rebstock , *Die Ibāḍiten im Maġrib (2/8–4/10.Jh.). Die Geschichte einer Berberbewegung im Gewand des Islam* , Klaus Schwarz Verlag, Berlin, 1983, p. 11-12.
89/ Vikor K.S. , « al-Wissyānī » , *Encyclopaedia of Islam* , Leiden, E. J. Brill, 2002, vol.11 , p.212.

فهرس المحتويات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	2

أولا:

نظرة أولية حول المصادر والنصوص الوهبية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م.

01-توزيع المصادر الإباضية الوهبية المستغلّة على القرون.	8
02-التوّزع الجغرافي للمؤلّفين الوهبيين.	10
03-عدد النصوص الوهبية المتعلقة بالتجارة الصحراوية حسب المصادر.	12

ثانيا:

النصوص الوهبية المتعلقة بالتجارة الصحراوية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م.

I.	القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.	15
II.	القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.	25
III.	القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.	27
IV.	القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.	42
V.	القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.	73
VI.	القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.	82
VII.	القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي.	83
VIII.	القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.	84

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا:

تحليل معطيات المصادر والنصوص الوهبية

01-مشكلة تكرار النصوص في المصادر الوهبية. 98

02-الإطار الزماني للنصوص الوهبية موزعة على المصادر. 100

03-تحليل معطيات النصوص الوهبية. 102

خاتمة 113

قائمة المصادر والمراجع 117

فهرس المحتويات 126

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص المذكرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"التجار والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م" موضوع مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، تخصص: العلاقات الاقتصادية والثقافية للمغرب الإسلامي بإفريقيا جنوب الصحراء، نوقشت هذه المذكرة بجامعة الأمير عبد القادر يوم 08 جويلية 2012م الموافق لـ 19 شعبان 1433هـ.

تناولت في هذا الموضوع العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان، لتغطية جزء من تلك العلاقات الواسعة التي ربطت بين المنطقتين من خلال الإنتاج الفكري الإباضي، مركزا على تراث الجماعة الوهبية في الإطار الزمني المحدد سابقا.

جملة من العوامل مجتمعة أدت إلى اختيار هذا الموضوع ليكون حلقة ضمن سلسلة العلاقات، ويكون تراث الإباضية خاصة كتب التراجم أساس بنائه للإجابة على إشكاليات أهمها محاولة التعرف على الواقع التجاري المغربي السوداني، انطلاقا مما هو موجود في المصادر الإباضية الوهبية من روايات ونصوص، ولذلك ستشكل هذه المصادر طرفا ضمن هذه الإشكالية من حيث قيمة ما تقدّمه من نصوص ومدى إسهامها في التأريخ للعلاقات بين ضفتي الصحراء بما تتضمنه من معطيات تاريخية وأخبار حول التجارة الصحراوية مع الجانب السوداني.

هناك دراسات سابقة ساعدتني في إنجاز هذا البحث أخص منها بالذكر أعمال ومساهمات الباحثين مثل : أعمال صالح باجية، أعمال عمرو خليفة النامي، أعمال مسعود مزهودي، أعمال إبراهيم بحاز، أعمال فرجيني بريفو، و تبقى أعمال الباحث البولوني تاديوش لوفيتسكي أشهر ما أنجز حول الإباضية ودورهم في الربط التجاري بين ضفتي الصحراء.

ضمن الإطار الزمني للبحث استخدمت ثلاثة عشر مصدرا لم يكن بينها سوى ثمانية مصادر تضمنت نصوص وروايات حول التجارة الصحراوية وإسهامات التجار المغاربة-الإباضية- في تنشيط وتفعيل العلاقات التجارية مع بلاد السودان وغابت المعلومات حول الموضوع في المصادر الأخرى لأسباب من الصعب تحديدها بدقة.

لقد تم العمل في هذا البحث بتصنيف المصادر كرونولوجيا من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م حسب تاريخ وفاة المؤلفين، ثم قراءة كل مصدر على حدى لاستخراج نصوص وروايات التجارة الصحراوية، ثم التعليق عليها للتمكن من تحديد إطارها الزماني والمكاني، ولتسهيل استيعاب هذه الخطوة، قدمت في البداية نظرة أولية حول المصادر الإباضية مدعمة بجداول إحصائية وتمثيلات بيانية لتمكين القارئ من اكتساب صورة حول المصادر الإباضية، وفي الأخير حاولت استغلال معطيات النصوص وتحليلها بيانيا للوصول إلى واقع العلاقات التجارية المغربية ببلاد السودان.

إن دراسة نصوص التجارة الصحراوية من خلال المصادر الإباضية الوهبية أوصلتني إلى نتائج كثيرة منها ما يتعلق بالمصادر وأخرى بالنصوص وأهمها ما تعلق بواقع التجارة الصحراوية ودور الجماعة الوهبية في تنشيطها:

إن التعامل التجاري للإباضية على عهد الدولة الرستمية كان واضحا ورسميا، حيث تم على أعلى مستويات الدولة مع ممالك السودان الغربي، وهذا لا ينفي اتصال بعض التجمعات الإباضية الشرقيّة بممالك السودان الأوسط والتعامل معهم قبل سقوط العاصمة تيهرت وبعدها، وهذا الفشل السياسي الذي منيت به الجماعات الإباضية أفرز توزّعها في الواحات، ممّا مكّنهم من الاستقرار على المحطات التجارية الواحية مثل سدراتة ووارجلان، وأعطاهم فرصة الاندماج السريع في المنظومة التجارية الصحراوية، لكن سقوط النظام الرستمي واندثاره لم يؤثّر على الأنشطة التجارية للجماعة الوهبية كثيرا، بدليل استمرار الرحلات التجارية وحضور مدن السودانين الغربي والأوسط بقوّة في النصوص الوهبية، هذه الأخيرة لا تقدّم لنا تفاصيل كثيرة، ومع ذلك فقد استطعت بعد جهد رصد خمسة طرق تجارية استخدمها الإباضية لمباشرة أعمالهم التجارية عبر الصحراء.

إن ما تم التوصّل إليه من نتائج خلال هذا البحث لا تعبّر بالضرورة عن واقع التجارة المغربية-السودانية بقدر ما هي نتائج محقّقة ممّا تركه الإباضية من إنتاج فكري بيوغرافي حول علاقاتهم التجارية ببلاد السودان و دورهم في الربط بين ضفّتي الصحراء، ولا عجب فالمصادر الوهبية تؤرخ للتّجار الوهبيّين وللتجارة الوهبيّة نحو إفريقيا جنوب الصحراء وتتجاهل ما يحدث خارج عالم التجمعات الإباضية الوهبية وهذا شأن إنتاج الأقليات المذهبية.

La république Algérienne démocratique et populaire

Ministère de l'éducation supérieur et de la recherche scientifique

Université d'emir Abdelkader des sciences islamique-Constantine

Faculté du lettre et de la civilisation islamique

Département d'histoire

Les commerçants et le commerce maghrébin vers l'Afrique subsaharienne depuis les sources ibadites-wahbite de 3e /9e siècle au 10e /16e siècle.

Préparé par :

Abdelkader Mebarkia

Encadré par :

Pr :Allaoua Amara

Avant la comitée :

Nom et prénom	*université*	*OBJECTIF*
Pr Ismaïl samï	*Emir Abdelkader*	*President*
Pr Allaoua Amara	*Emir Abdelkader*	*Encadreur et Décideur*
Pr Mohamed fergueni	*Emir Abdelkader*	*Membre*
Pr Kamel ben mars	*Université de Guelma*	*Membre*

Année universitaire :

2011/2012.

«Les commerçants et le commerce maghrébin vers l'Afrique subsaharienne depuis les sources ibadites-wahbites de 3e /9e siècle au 10e /16e siècle », *thème d'un mémoire complémentaire pour l'acquisition du diplôme de magister en histoire du Maghreb médiéval, options : les relations économique et culturelle entre le Maghreb islamique et l'Afrique subsaharienne, soutenue à l'université d'émir Abdelkader Constantine le 08 juil.-12 correspondant le 19 šaban 1433 de l'hégire.*

J'ai traité dans ce thème les relations commerciales entre le Maghreb et le pays du soudan pour recouvrir une partie de ces vastes relations quelle ont reliées les deux régions depuis la production intellectuel ibadite, en ce concentrant sur le patrimoine wahbite dans la période cité au dessus.

Plusieurs facteurs ont amenés à choisir ce sujet pour répondre à un problématique essentiel : « savoir la réalité commercial Maghrebo-Soudanaise », à partir les traditions et les textes existants dans les sources ibadites-wahbites .

Plusieurs études antérieurs ont aidées à compléter ce travail, notamment les recherches de : Salah Badjia, A.K Ennami, Massoud Mezhoudi, Virginie Prévost, mais les plus importants sont les travaux de chercheur polonais Tadeusz Lewicki.

Dans ce cadre, j'ai pris environnement de 13 sources dont 08 seulement ont contenues des donnés concernant ce travail.

J'ai débuté mon travail par le classement chronologique selon les siècles de l'hégire et après l'analyse du textes de chaque source avec commentations, et pour faciliter la compréhension de cette étape j'ai disposé au début des tableaux statistique et des diagrammes pour éclairer contexte de ces relations commerciales Maghrebo-Soudanaise.

Ces études et analyses ont permet de sortir avec plusieurs resultats concernant cet commerce, entre autres :

> *-ces relations commerciales étaient claire et officiel dans la périodes Réstumide et se font de haut niveau avec les royaumes du soudans occidental, mais cela n'élimine pas l'existence de certains communications entre les ibadites d'est avec les royaumes du médian soudans avant et après la chute de Tihert la capital du Réstumide n'a pas influencé ces relations commerciales, et a entrainé la répartitions sur les oasis et de stagner sur les stations commerciales oasiennes tel que Sedrata*

et Ouarğlan, tout en dit au dessus sont des arguments sur la durative commerciales entre les deux rives du Sahara.

Enfin, les resultats de cette études ne décrit pas obligatoirement la réalité commerciale Maghrebo-Soudanaise mais se sont des conclusions extraites de la productions intellectuelle et biographique des ibadites-wahbites à noter la fermeture du groupe wahbite.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية